التقوى

المجلد الرابع والعشرون، العدد الخامس –

شوال وذو القعدة ١٤٣٢ هـ أيلول/ سبتمبر ٢٠١١ م

إسلامية شهرية تصدر عن المكتب العربي

بالجماعة الإسلامية الأحمدية العالمية في لندن، بريطانيا.

altaqwa@islamahmadiyya.net الهاتف والفاكس: 0044 20 85421768

موقعنا عبر شبكة الإنترنت: httpp://www.islamahmadiyya.net

٢ – ٣	لا أمن من دون إيمان ولا سلامة من دون إسلام	كلمة "التقوى"
٤ – ٨	سر هلاك الأمم	في رحاب القرآن الكريم
٩	من نفحات أكمل خلق الله سيدنا محمد المصطفى ﷺ	أحاديث نبوية شريفة مختارة
١٠ – ١١	رأيت بفضل ربي سُبلَ ربِّي	مقتبس من قصيدة لسيدنا المسيح الموعود عليه السلام
١٢ – ٢٣	الطريقة المثلى لأداء حق عبودية الله تعالى	خطبة الجمعة لحضرة أمير المؤمنين –أيده الله–
٢٤ – ٢٧	أحمديةُ الشيخ محمد الغزالي	هاني طاهر
٢٨ – ٣٠	خمس فوائد للإيمان بالمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام	تميم أبو دقة
٣١	حِكم ونوادرُ	
٣٢ – ٣٦	ولكم في إسلام المغول عبرة .. !	د. أيمن فضل عودة

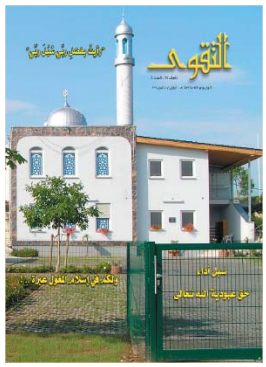

مسجد بيت الهدى، يوزنجن – ألمانيا.

هيئة التحرير

عبد المؤمن طاهر

هـــاني طاهـــر

عبد المجيد عامر

محمد طاهر نديم

محمد أحمد نعيم

رئيس التحرير

أبو حمزة التونسي

التوزيع

مظفر أحمد

الهيئة الإدارية

نصير أحمد قمر

منير أحمد جاويد

عبد الماجد طاهر

جميع الاتصالات والمراسلات تُوجَّه إلى العنوان التالي:

The Editor Al Taqwa, P.O.Box 54094 London SW19 3XF, United Kingdom

الاشتراك السنوي ٢٠ جنيها استرلينيا أو ما يعادل ذلك بالعملة الصعبة

تكتب الحوالات المصرفية والبريدية باسم ASI.Ltd

© جميع الحقوق محفوظة للشركة الإسلامية الدولية

ISSN 1352 - 9463

لا أمن من دون إيمان
ولا سلامة من دون إسلام

لا شك أن الإنسان بحاجة إلى جميع نِعَمَ الله ﷻ، ولكن هنالك نعمة لا يهنأ البال لدى فقْدانها، إنها النِّعْمَةُ التي تشرئب لها أعناق الصغير والكبير.. نعمة لا يعرف قيمتها إلا من ذاق الأمرّين بعد فقدانها، إنَّها نعمة الأَمْن والأمان. ولقد أرسى سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام حجر أساس هذه النعمة العظيمة ووضح أبعادها إذ ناجى المولى ﷻ قائلا: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾[1]. ومن خلال الترتيب اللفظي في هذه الآية يمكن أن نستنتج حكمة تقديم سيدنا إبراهيم طلب الإنعام بالأمن قبل طلب الرزق بالثمرات، أي الغذاء المادي والروحي. وذلك لأنه عليه السلام كان يعلم أنه بدون الأمن والأمان لا يتم استقرار المجتمع. فلا يهنأ فيه بالطعام والشراب، ولا يكون نهاره معاشًا، ونومه سباتًا، وليله لباسًا، كما يصعب في هذا الجو الخشوع لدى أداء الواجبات الدينية.. ونرى على مر العصور وإلى يومنا هذا أن الشعوب التي انتُزِع منها الأمن والأمان، عاش أهلها في خوفٍ وذُعْرٍ وقلَقٍ واضطراب. فالكل ينتظر حتْفَه الذي قد يباغته بين لحظةٍ وأخرى!

وفي هذا المقام نود أن نلقي بعض الضوء على مصطلحي الأمن والأمان اللذين يستخدمان كمصطلح واحد دون التفريق بينهما غالبا. فالأمن مهمة المؤسسات الأمنية التي تتصدى لدرء الجرائم أو الحروب. أما الأمان فهو بث الطمأنينة والاستقرار وسحق الخوف والقلق والاضطراب. وكما لا يخفى على المطلعين فإنه على مر العصور دخل على بعض التعبيرات تغييرات غيرت من معناها الأصلي، وتحديدا هذا ما حدث مع مصطلح "الأمن والأمان" حيث كان من وهبه الله ﷻ جوامع الكلم ﷺ إذا رأى هلال شهر جديد، دعا الله قائلاً: "اللهُمَّ أهِلَّهُ علينا **بالأمن والإيمان**، والسلامة والإسلام، والتوفيق لما تُحب وترضى." [2]

وهكذا نرى أن كلمة الإيمان حَلت مكانها كلمة الأمان. ولسنا في هذا المقام بصدد بحث عوامل ودوافع هذه التغييرات ولكن نود أن نركز على أن الأمة التي اختارها الله لنشر نِير محمد ﷺ قُرن أمنها بالإيمان وقرنت سلامتها بالإسلام. وتاريخ الإنسانية أحسن شاهد على حالات مماثلة حيث تنعمت أمم كثيرة بنعمة الأمن بناء على إيمانها، ولكنها لما كفرت بنعم الله العديدة المادية منها والروحية من إيمان بوحدانية الله ﷻ وتخطت حدوده، نزل عليها قحط مادي وروحاني.. وهذا ما تنص عليه الآية

ويبدو أنهم لم يتعلموا درسا من خيانة هذه القوى وغدرها بهم في الماضي، ونسوا أن النجاة الحقيقية التي تضمن لهم العزة والكرامة، تكمن فقط في الفرار إلى الله...

القرآنية الكريمة: ﴿وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (٣)

فلا بد أن ندرك أن نعمة الأمن لا توجد إلا بوجود مقوماتها، ولا تدوم إلا بدوام أسبابها، والتي من أعظمها توحيد الله والإيمان به وتربية الأمة على ذلك. إنها سنة الله الجارية في الكون منذ الأزل.. فدوام النِّعَم يزول بكفر من وُهبوا إياها. ولدى اضمحلال الإيمان يتبخر الأمن ويتولد مناخ إجرامي عدواني تتفشى من خلاله كثْرة الاعتداءات، وإزهاق وقتل الأنْفُس البريئة، من غير دليل أو برهان.

إن حالة عدم الأمن والاستقرار التي تعيشها حاليا كثير من البلدان العربية لها أسبابها وتداعياتها العديدة. ففي كل مجتمع يرسم الأفراد بأيديهم معالم الحالة الاجتماعية التي يعيشونها، وذلك من خلال التعامل مع الواقع بميزان العدل، دون تخطي حدود الله. والابتعاد عن الخوض مع الخائضين وإفشاء الشائعات وإثارة الفتن في البلاد من أجل الحصول على مكاسب شخصية وعدم المبالاة بمصلحة البلاد.

أما الذين بأيديهم مقاليد إدارة شؤون العامة فتراهم يستنجدون مرة بالقوى الشرقية وأخرى بالقوى الغربية. ويبدو أنهم لم يتعلموا درسا من خيانة هذه القوى وغدرها بهم في الماضي، ونسوا أن النجاة الحقيقية التي تضمن لهم العزة والكرامة، تكمن فقط في الفرار إلى الله وذلك بالتمسك بحبله ﷻ المتجسد في نظام الخلافة الراشدة على منهاج النبوة، والذي هو جوهر الإيمان في عصرنا الحاضر. ولنا في كتاب الله دروس وعبر: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ (٤)

إنها دعوة نرفعها مجددا لأصحاب الفطرة السليمة الباحثين عن مخرج مما هم فيه من حالات الخوف والفزع والهلع. وندعوهم أن يفيقوا من سباتهم العميق.. فليكونوا على يقين أنه: لا أمن مِن دون الإيمان ولا سلامة مِن دون الإسلام.

وفقنا الله وإياكم لما يحبه ويرضاه. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا وإمامنا محمد المصطفى وعلى آله وصحبه أجمعين إلى يوم الدين.

--

(١) البقرة: ١٢٧ (٢) الترمذي (٣) النحل: ١١٣ (٤) النور: ٥٦

سِرُّ هلاك الأمم

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾

(سورة إبراهيم)

من دروس: حضرة مرزا بشير الدين محمود أحمد

المصلح الموعود رضي الله عنه

الخليفة الثاني لحضرة المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ (الآية: ٢٠)

شرح الكلمات:

يُذْهبكم: الذّهابُ: المُضِيُّ، وهو كنايةٌ عن الموت أيضاً، قال الله تعالى: ﴿إنْ يشأْ يُذهبْكم ويأتِ بخلقٍ جديد﴾ (المفردات)

التفسير:

أي أن الله تعالى لم يخلق الكون عبثاً، فكيف يمكن أن يضع الله زمام الدنيا في يد هؤلاء الكفار الذين يأتون أعمالاً تبطل غاية خلقهم؟ فيجب أن يتذكروا أنهم في حالة خطر لأنهم يخالفون المشيئة الإلهية.ولا يظنّنّ هؤلاء أنه لا أحد يقدر على أن ينتزع منهم ما يملكون أو يقوم مقامهم، كلا، بل إن الله قادر تماماً على أن يُهلكهم ويأتي مكانهم بقوم آخرين. والمراد من (الآخرين) هم جماعة أتباع الأنبياء عليهم السلام. ولم يقصد الله بهذا التأكيد على قدرته فقط، بل التأكيد أيضاً على عزمه الأكيد بتجهيز قوم يأخذون مكان هؤلاء المكذبين.

﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللهِ بِعَـزِيزٍ﴾
(الآية: ٢١)

شرح الكلمـات:

عزيز: يُقال: عزَّ عليّ كذا: صَعُب قال الله تعالى: ﴿عزيزٌ عليه ما عَنِتُّمْ﴾ أي صَعُبَ (الأقرب)

التفسـير:

يا لغرابة أهل الدنيا! فعندما تُصاب أُمَّة بالانحطاط تقول: إن نهوضنا مستحيل الآن، وعندما تحقق الرقي تقول: إن انحطاطنا محال الآن. مع أنهم يرون نهوضَ الأمم المنهارة وانحطاط الشعوب المتقدمة في كلّ عصر. فكم من أمة نهض بها الله بعد سقوطها، وكم من شعب وضعه الله وألقاه في الحضيض بعد رقيٍّ وازدهار.

﴿وَبَرَزُوا لله جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيـصٍ﴾
(الآية: ٢٢)

شرح الكلمـات:

مُغنون: أغنى عنه: أجزأَه. ما يُغني عنك هذا أي ما يُجدي عنك (الأقرب)

مَحيص: حاصَ عنه يحيصُ: عدَلَ وحادَ. المحيصُ: المحيدُ؛ المَهربُ (الأقرب)

التفسـير:

لقد استخدم الله تعالى في الآية صيغ الماضي بمعنى المستقبل، والدليل على ذلك أنه تعالى يتحدث هنا عن العذاب الذي لم يكن قد حلّ بهم. واستخدام الفعل الماضي مكان المضارع أسلوب قرآني للتأكيد، والمعنى أن هذا الأمر واقع لا محالة وكأنه قد وقع في الماضي. وهناك نظائر كثيرة في القرآن الكريم لهذا الاستخدام. وفي لغتنا الأردية أيضاً يقال لمن ينتظر قادماً فيملّ انتظاره: لا تقلق، فقد جاء. فالآية تعني أن الله تعالى حين يقرر هلاك قوم فلا بد أن يضطروا للبروز والمثول أمامه بمعنى أن عيوبهم ونقائصَهم التي تكون خفيّة من قبل تنكشف للناس شيئاً فشيئاً.

لقد ذكر الله تعالى هنا سراً عظيماً لهلاك الأمم يجب أن نتذكره دائماً. فإنه تعالى يذكّرنا أن الأمم لا تهلك بسبب وجود العيوب فيهم بقدر ما يهلكون نتيجة انكشاف عيوبهم على العالم. فإنهم بالرغم من وجود النقائص فيهم يستمرون في إحراز التقدم والرقي ما دامت هذه النقائص خفيّة مستترة، وتهابهم الأمم وترتعب منهم. ولكن عندما يهتك الله سترَهم ويكشف عيوبهم للآخرين يأخذون في الانحطاط

لقد ذكر الله تعالى هنا سراً عظيماً لهلاك الأمم... فإنه تعالى يذكّرنا أن الأمم لا تهلك بسبب وجود العيوب فيهم بقدر ما يهلكون نتيجة انكشاف عيوبهم على العالم. فإنهم بالرغم من وجود النقائص فيهم يستمرون في إحراز التقدم والرقي ما دامت هذه النقائص خفيّة مستترة...

باستمرار، رغم محاولاتهم المضنية للنهوض. وهذا يعني أن الصِّيت أهم وأكثر نفعاً للأنسان من عمله أيضاً.

وإلى هذا المعنى تشير الآية وتقول: إن الله تعالى عندما يريد إهلاكهم يفضحهم ويكشف عيوبهم للدنيا، وإلاّ فإنه تعالى عليم بكلّ صغيرة وكبيرة منهم في كل حين.

أما قوله تعالى ﴿فقال الضّعفاءُ للذين استكبَروا..﴾ فمعناه أنه عندما سيأخذ هؤلاء الكفار في التردي والهلاك سيقول الضعفاء منهم لكبرائهم: تعالوا لحمايتنا من الهلاك فإننا كنا خاضعين لكم نتبع أوامرَكم، فيقول لهم الكبراء: لا نجد نحن أيضاً من الهلاك مخلصاً، فكل ما نبذله من جهود يبوء بالفشل، فكيف ننصركم ونحن الخاسرون، فما عليكم إلا أن تلتزموا الصبر.

وهنا أيضاً يبيّن الله تعالى سرّاً آخر في هلاك الأمم. إذ أن الأقوام التي لم يحن وقت هلاكها بعد لا تزال -رغم تعرضها للانهيار- جاهدةً ساعيةً سعياً حثيثاً للخروج من المآزق التي هي فيها. ولكن الأمة التي كُتب عليها الهلاك تركن إلى القنوط واليأس صابرة مستسلمة لما هي فيه. مع أن هذا ليس من الصبر في شيء، وإنما الصبر أن يواجه الإنسان هذه الشدائد بجَلَد وعزيمة محاولاً التخلص منها، لا أن يرضى بها مطمئناً.

كما أن الآية تشير إلى أن الناس يُحضّون بعضهم بعضاً على ارتكاب الجرائم والمعاصي قائلين لهم: افعل كذا ولا تبالِ، فنحن نتحمل المسؤولية. ولكن عندما يُنزل الله بهم العذاب فلا أحد يتصدى لنصرتهم إذ لا أحد يقدر على ذلك. ونفس الحال بالنسبة للجرائم الدنيوية. فكبراؤهم يحثونهم على القتل وغيره من المعاصي ويَعِدونهم بأنهم سوف ينقذونهم من العقاب، وعندما يُلقى القبض عليهم فلا أحد من هؤلاء الكبراء يتقدم لنصرتهم وإنقاذهم .

﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

(الآية ٢٣)

شرح الكلمات:

الحق: (راجع شرح الكلمات للآية رقم ١٥ من سورة الرعد)

أخلَفْتُكم: أخلَفَه ما وعده: قال شيئاً و لم يفعله. أخلَفَ فلاناً: وجدَ موعِدَه خِلْفاً. أخلَفَ الغيثُ: أطمَعَ في النزول ثم نكَص. أخلفَ الدّواءُ فلاناً: أضعَفَه (الأقرب) فالمراد من (أخلَفتكم): (١) أنني أخلفتكم الوعد، (٢) أنني أضللتكم بالوعود المعسولة الكاذبة.

مُصرِخ: أصرَخَ فلاناً: أغاثه وأعانه، تقول: استَصرَخَني فأصرخته أي استغاث بي فأغثتُه، وقيل: الهمزةُ للسلب أي فأزلتُ صراخَه (الأقرب). فالمراد من قوله: ﴿ما أنا بمُصرِخكم﴾ (١) لا أقدر على نجدتكم كما لا تقدرون على مساعدتي. (٢) لا أستطيع إزالة صراخكم كما لا تستطيعون إزالة صراخي.

التفسير:

إن الشيطان أو أظلاله من البشر يعلنون براءتهم ممن يتخذونه أداةً طيّعة لارتكاب الإثم، إذ يقولون له: لم نكرهك على ارتكابه، وإنما كنت بنفسك شريرًا لذلك رضيت

بما أشرنا به عليك. لو كان فيك خير لما رَضِيت بقولنا. متى أكرهناك على ارتكاب المعصية؟

وهذا حق لا شك فيه. فإن الشيطان أو أظلاله من البشر لا يملكون في الواقع أي خِيار على الإنسان، وإنما هم وسيلة لكشف عيوبه فقط، مثلما تكون الملائكة سبباً لظهور كفاءاته الحسنة. والحق أن أهواء النفس البشرية هي التي تضله وتنحرف به، ولا دخل للشيطان في ضلاله، إلا أنه يمتحن الإنسان مشيراً عليه باختيار السيئة. شأنه شأن المعلم الذي يضع أمام الطالب أسئلة صعبة وقت الامتحان. فعند فشل الطالب في الامتحان لا يقول أحد بأن المعلم هو الذي تسبب في فشل الطالب وإنما يقولون: إنه فشل بسبب ضعفه العلمي، أما المعلم فقد كشف عليه الواقع. كذلك حال الملائكة والشيطان. فالملائكة يُظهرون للإنسان مستواه في الخيرات، بينما يكشف عليه الشيطان مستواه في السيئات، ولا يعني ذلك أن الملائكة تجعل الإنسان بارّاً، أو أن الشيطان يجعله فاسداً.

والمراد من قوله ﴿فلا تلوموني ولوموا أنفسَكم﴾ أنكم رأيتم

فإن الشيطان أو أظلاله من البشر لا يملكون في الواقع أي خِيار على الإنسان، وإنما هم وسيلة لكشف عيوبه فقط، مثلما تكون الملائكة سبباً لظهور كفاءاته الحسنة.

وعود الله تتحقق دائماً ومع ذلك لم تكترثوا لها و لم ترضوا بها، وتقبلتم ما وعدتكم من وعود معسولة رغم انكشاف زيفها عليكم، فما ذنبي في ذلك.

وقوله ﴿إني كفرت بما أشركتمونِ مِن قبل﴾.. أوليس غريباً أن نجد الشيطان يدّعي الإيمان بتوحيد الله تعالى، إذ يذكّرهم قائلاً: أنتم بأنفسكم اتخذتموني شريكاً مع الله بينما كنت أنكر ذلك.

والواقع أنه على حق، لأن الشيطان الذي يقوم باختبار الناس وكشف عيوبهم إنما يقوم بواجبه الذي فرضه الله عليه. ولا شكّ أن جبروت الله وعظمته تكون جليّة أمام عينيه، فكيف يمكن إذاً أن يقع في الشرك؟ وإنما يتولد الشرك في الإنسان عندما يقبل الوساوس الشيطانية ويحوّلها إلى معصية.

هناك سمٌّ اسمه "الزرنيخ" يستخدمه الأطباء كترياق ناجع في بعض الأمراض ولكن إذا أساء أحد استخدامه وتناول كمية أكبر من اللازم صار هذا الترياق سمّاً قاتلاً. هذا هو مثال الشيطان، فإن تأثيراته كالزرنيخ أو هي بمثابة اختبار المعلم للطالب، فإذا تصرّف تجاهها تصرفاً سليماً نجا وفاز وإلا فشل وهلك.

وقد يتساءل هنا أحد قائلاً: فلماذا يلقي الله بالشيطان في الجحيم إذن؟ والجواب: لقد سجّل القرآن قول الشيطان لله تعالى ﴿خلقتَني من نار﴾ (الأعراف:١٣). فالذي خُلق من النار لن يتعذب بدخوله فيها، فمثلاً لو ألقيتَ جمرةً ملتهبة في الموقد فلن يحدث لها شيء. ولذلك نجد الصوفية يميلون إلى الاعتقاد بأن أظلال الشيطان من البشر سوف يعذَّبون، ولكن الشيطان نفسه لن يعذَّب، لأنه إذ يختبر الناس فإنه يؤدي واجبَه الذي فرضه الله عليه.

﴿وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ (الآية ٢٤)

إن العاملين ثلاثة، فمنهم من يعمل الحسنات طمعاً في الجنة، ومنهم من يعمل خوفاً من النار، ومنهم من يعمل لوجه الله ومرضاته.

شرح الكلمات:

إذْن: الإذنُ: الإجازةُ؛ الإرادةُ؛ العلمُ (الأقرب)

تحيّتهم: التّحيةُ: السلامُ؛ البقاءُ؛ السلامةُ من الآفات. والتحيّةُ من الله: الإكرامُ والإحسانُ (الأقرب)

التفسير:

لقد قال بعض المفسرين في تفسير قوله تعالى ﴿خالدين فيها باذن ربّهم﴾ إن الإنسان لن يدخل الجنة إلا بفضل الله ورحمته لا كحق ثابت له. كما ورد في الحديث الشريف أيضاً: "عن عائشة عن النبي ﷺ قال: سدِّدوا وقـاربوا وأبشِروا، فإنه لا يُـدخِل أحداً الجنةَ عملُه. قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله بمغفرة ورحمة " (البخاري، الرقاق).

الواقع أن أعضاءنا وملكاتنا كلها عطاء من الله الرحمن، وهكذا تصبح أعمالنا أيضاً هبة من الله، لأننا إنما نؤديها بفضل هذه القوى الموهوبة من عنده سبحانه وتعالى. فما يؤتينا الله من جزاء على أعمالنا إنما هو عطاء وفضل منه، وليس حقاً لنا في الواقع. وأرى أن للآية معنىً آخر أيضاً وهو أن المؤمن لا يريد بأعماله الجنة، بل ينشد بها رضوان الله. فلو أقام في الجنة فإنما لأنه تعالى قد أمره الله بهذا. وهذا المعنى يتأكد من حديث شريف قال فيه النبي ﷺ: إن العاملين ثلاثة، فمنهم من يعمل الحسنات طمعاً في الجنة، ومنهم من يعمل خوفاً من النار، ومنهم من يعمل لوجه الله ومرضاته.

فلا شك أن الصنف الأخير منه سوف يظفر بالجنة أيضاً، ولكن كهدية لا كهدف منشود.

قوله تعالى ﴿تحيّتهم فيها سلام﴾ يعني أنهم سوف يتبادلون هناك فيما بينهم تحية السلام؛ أو أنه لن يصيب هناك أحداً شرٌ من أحد، بل سيعيشون في سلام تام؛ أو أن أفضل تحية يتلقونها من الملائكة أو من الله في الجنة هي السلام.. بمعنى أن الملائكة يثيرون ما فيهم من ملكات دقيقة خفية لتقوى الله، كما أن الله ﷻ سوف يخصهم بأفضال ونعم خاصة.

الواقع أن أعضاءنا وملكاتنا كلها عطاء من الله الرحمن، وهكذا تصبح أعمالنا أيضاً هبة من الله، لأننا إنما نؤديها بفضل هذه القوى الموهوبة من عنده سبحانه وتعالى. فما يؤتينا الله من جزاء على أعمالنا إنما هو عطاء وفضل منه، وليس حقاً لنا في الواقع.

من نفحات أكمل خلق الله
سيدنا محمد المصطفى ﷺ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قالَ رَسُول الله ﷺ: مَثَلُ الْبَخِيلِ وَالْمُنْفِقِ كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُبَّتَانِ مِنْ حَدِيدٍ مِنْ ثُدِيِّهِمَا إِلَى تَرَاقِيهِمَا. فَأَمَّا الْمُنْفِقُ فَلا يُنْفِقُ إِلاَّ سَبَغَتْ أَوْ وَفَرَتْ عَلَى جِلْدِهِ حَتَّى تُخْفِيَ بَنَانَهُ وَتَعْفُوَ أَثَرَه، وَأَمَّا الْبَخِيلُ فَلا يُرِيدُ أَنْ يُنْفِقَ شَيْئًا إِلاَّ لَزِقَتْ كُلُّ حَلْقَةٍ مَكَانَهَا، فَهُوَ يُوَسِّعُهَا وَلا تَتَّسِعُ. (صحيح البخاري - كِتَاب الزَّكَاة)

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا أَنَّ بَعْضَ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، قُلْنَ لِلنَّبِي ﷺ: أَيُّنَا أَسْرَعُ بِكَ لُحُوقًا؟ قَالَ أَطْوَلُكُنَّ يَدًا. فَأَخَذُوا قَصَبَةً يَذْرَعُونَهَا، فَكَانَتْ سَوْدَةُ أَطْوَلَهُنَّ يَدًا. فَعَلِمْنَا بَعْدُ أَنَّمَا كَانَتْ طُولَ يَدِهَا الصَّدَقَةُ وَكَانَتْ أَسْرَعَنَا لُحُوقًا بِهِ وَكَانَتْ تُحِبُّ الصَّدَقَةَ. (صحيح البخاري - كِتَاب الزَّكَاة)

عَنْ الزُّهْرِيِّ عَنْ سَالِمٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلاً يَعِظُ أَخَاهُ فِي الْحَيَاءِ فَقَالَ: إِنَّ الْحَيَاءَ شُعْبَةٌ مِنْ الْإِيمَانِ. (سنن ابن ماجه - كِتَاب الْمُقَدِّمَة)

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عمرو أن النبيَ ﷺ قَالَ: إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلامِ النُّبُوَّةِ الأُولَى: إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ. (سنن ابن ماجه، كتاب الزهد)

عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: سَمِعْتَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: النَّدَمُ تَوْبَة. (مسند أحمد - مُسْنَدُ الْمُكْثِرِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ)

رأيتُ بفضل ربّي سُبلَ ربّي

بِمُطّلِعٍ على أسرارِ بالي ... بعالِمِ عَيبتي في كلّ حالي
بوجهٍ قد رأى أعشارَ قلبي ... بمستمعٍ لِصَرْخي في اللّيالي
لقد أُرسلتُ مِن ربٍّ كريمٍ ... رحيمٍ عند طوفان الضّلالِ
وقد أُعطيتُ برهانًا كرُمْحٍ ... وثقّفْناه تثقيفَ العَوالي
فلا تَقْفُ الظُّنونَ بغيرِ عِلمٍ ... وخَفْ أخذَ المحاسِبِ ذي الجلالِ
ترى آياتِ صدقي ثم تنسَى ... لَحاك اللهُ، ما لك لا تُبالي
وحربي بالدّلائل لا السِّهامِ ... وقولي لَهْذَمٌ شاجُ القُذالِ
وفاقَ السيفَ نُطقي في الصِّقالِ ... قدِ اغْتلتُ المكفِّرَ كالغزالِ
ولم يَزَلِ اللّئامُ يكفِّروني ... إلى أنْ جاء نصرةُ ذي الجلالِ
وقد جادلتَني ظلمًا وزورًا ... وجاوَزتَ الدِّيانةَ في الجِدالِ
ولو قبْلَ الجدالِ سألتَ مني ... جُذِبتَ إلى الهدى قبلَ الوبالِ
لنا في نصرةِ الدِّينِ المتينِ ... مَساعٍ في التّرقّي والكمالِ
هداني خالقي نهجًا قويمًا ... وربّاني بأنواعِ النَّوالِ
لقد أُعطيتُ أسرارَ السّرائرْ ... فسَلْ إن شئت من نوعِ السؤالِ
وقد غوّصتُ في بحرِ الفَناءِ ... فعُدتُ وفي يدي أبهَى اللآلي
رأيتُ بفضل ربّي سُبْلَ ربّي ... وإن كانت أَدَقَّ من الهلالِ
وكَمْ سرٍّ أراني نورُ ربّي ... وآياتٍ على صدقِ المقالِ

وعِلـــــمٍ يَبهَـــــرَنَّ عقــولَ نـــــاس ... ورأيٍ قــد عــلا قُنَــنَ الجبــــالِ
ســعيتُ ومــا وَنَيــتُ بشــوق ربّــي ... إلى أَن جــاءني رَيّــا الوصـــالِ
وقـــد أُشـــرِبتُ كأسًــا بعــد كأسٍ ... إلى أن لاحَ لي نـــورُ الجمــالِ
وقــد أُعطيــتُ ذوقًــا بعـــد ذوقٍ ... ونَعْمــاءَ المَحبّــةِ والــــدَّلالِ
وجَـــدتُ حيــاةَ قلــبي بعــد مــوتي ... وعــادتْ دولــتي بعــدَ الـــزّوالِ
لُفاظــاتُ المَوائــدِ كان أُكْــلِــي ... وصِــرتُ اليــومَ مِطْعـــامَ الأهــالي
أزيــد بفضـلــه يومًــا فــيــومًــا ... وأُصلِــي قلــبَ منتظـــرِ الوبــالِ
ألا يــا حاســدي خَــفْ قهــرَ ربّــي ... ومــا آلُــوك نُصحًــا في المــقــالِ
فــلا تســتكبِرَنَّ بفَــورِ عُــجْـــبِ ... وكَــمْ مِّــن مُــزدَهٍ صــيــدُ النَّــكالِ
أَلا يــا خاطِــبَ الدّنــيــا الدّنِيّـــهْ ... تَذكَّـــرْ يــومَ قُــرْبِ الْاِرتحــالِ
ســهــامُ المــوتِ تفجَــأُ، يــا عزيــزي ... ولــو طــالَ المَــدَى في الْاِنتــقــالِ
هـــداك اللهُ قـــد جادلــتَ بغــضًــا ... ومــا فكّـــرتَ في قــولي وقــالي
وكَـــمْ أكفَرتَـــني كـــذبًــا وزورًا ... وكَــمْ كذَّبــتَ مِــن زَيــغ الخيــالِ
وإني قـــد أرى قـــد ضـــاع دِينُـــكْ ... فقُـــمْ وَارْبَـــأْ بــه قبــلَ الرِّحــالِ
حــياتُــك بالتــغافــلِ نــوعُ نــوم ... وأيــامُ المعــاصــي كاللّــيــالي
ولســـتُ بطالــبِ الدُّنيــا كَزعمِــكْ ... وقـــد طلَّــقتُــهــا بِالاِعتــزالِ
ترَكْنــا هــذه الدّنيــا لـــوجــــهٍ ... وآثَــرْنــا الجمــالَ علــى الجمــالِ
وإنــكَ تــزدرِي نُــطقــي وقـــولي ... ولــو صادَفــتَــه مــثــلَ الــلآلي
فــلا تنظُـــرْ إلى زَحْــفٍ فإنــــي ... نظَــمــتُ قصيـــدتي بِالْاِرتجــالِ

(من كتاب التبليغ)

الطريقة المثلى لأداء حق عبودية الله تعالى

خـــطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين

سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

يوم ١٩ /٠٨/ ٢٠١١

في مسجد بيت الفتوح بلندن

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـــه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ* إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾. (آمين)

يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام: لا بد من الدعاء من أجل التوفيق للدعاء الحقيقي.

ويقول عليه السلام أيضًا: فكّرتُ ذات مرة ما الفرق بين الصلاة والدعاء، فتذكرت الحديث النبوي: الصلاة هي الدعاء، وأن الصلاة مخ العبادة.

ويقول عليه السلام: اعلموا أن الصلاة تجنّب المرء الأعمالَ السيئة والفواحش، ولكن أداء مثل هذه الصلاة – أي التي تنهي عن الفحشاء والمنكر- ليس بخيار الإنسان، إنما يتأتي ذلك بالاستعانة من الله تعالى. يعني عليه السلام: بدون معونة الله تعالى لا يوفّق المرء لأداء الصلاة والعبادة التي تحمي صاحبها من الفواحش والمنكرات وترشده إلى الصراط المستقيم.

كل هذه الأقوال تبين لنا كيف يجب أن تكون عباداتنا وأدعيتنا، وما هي الطرق التي ينبغي علينا اتّباعها في الدعاء، وما هو التأثير الذي يجب أن يُرى في أنفسنا نتيجة عباداتنا وأدعيتنا، وكيف يمكن أن تحظى عباداتنا وأدعيتنا بالقبول عند الله تعالى. لو استوعبنا هذه الأمور وأدركنا أن العبادة وحدها هي غاية خلقنا، وأننا لن تكون عاقبتنا الحسنى

ترجمة: المكتب العربي

فالمرء حين يصبح عبدًا شاكرًا لله تعالى، متذكرًا نعمه التي أنعمها عليه بفيض رحمانيته ﷻ، فإنه يخطو أول خطوة ليعبد الله تعالى ويكون عبدًا حقيقيًا له. فبعد بلوغ هذا المقام يسعى العبد للعبادة....

سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

في الدنيا والآخرة إلا بتحقيق هذه الغاية فقط، فلا بد أن نسعى لتحقيق هذا الهدف جاهدين ومعرضين عن كل شيء سواه. لكن، وكما بين المسيح الموعود عليه السلام، لا بد لنا أن نسأل الله التوفيق للدعاء الحقيقي، وأن كل هذه الأمور لا تتأتى بدون الاستعانة من الله تعالى، وأن تحقيق غاية خلقنا محال بجهودنا وحدها.

إن الله اللطيف بعباده قد علّمنا في أول سورة في القرآن الكريم دعاءً، وفرَض علينا ترديده في كل ركعة من الصلاة سواء الفرائض والسنن والنوافل، أعني دعاء: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾، ومعناه: ربنا إننا نريد أن نعبدك، ولكننا لا نستطيع أن نعبدك حق العبادة إلا إذا شملتْنا معونتك ونصرتك. فالمؤمن عندما يستغيث الله تعالى بحماس شديد ويبتهل إليه بصرخة متواضعة نابعة من الأعماق، يحالفه التوفيق في العبادة.

ثم إن من منن الله على عباده أنه يأتي لهم بشهر رمضان في كل سنة معلنًا ها قد هيّأت لكم فرصة أخرى للتقرب إليّ، وصفّدتُ فيه الشيطان، وأنني مستعدّ لإعانة كل عبد، بل إني أعينه بالفعل حين يأتيني بقلب سليم وإيمان كامل، عاملاً بأحكامي، ومعاهِدًا أنه سيعبدني وحدي ويكون عبدًا مخلصًا لي، فمَن فعل ذلك منكم سأستجيب دعاءه.

فالحق أنه إذا كان هناك تقصير فإنما هو من جانبنا نحن العباد، أما الله تعالى فلا يألو في الإحسان إلينا وإعانتنا.

ثم في هذا الزمن قد أرسل الله لإصلاحنا رسوله الذي جاء خادمًا لعبده الكامل ﷺ، فعلّمَنا كيف نتقرب إلى الله تعالى، ونكون عباده حقًا، ونرفع مستوى عباداتنا،

وكيف نستعين به. لذا فسأقوم الآن بتفسير قوله تعالى ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ على ضوء أقوال المسيح الموعود عليه السلام وتصريحاته.

لو استوعبنا المفهوم الدقيق العميق الذي بيّنه حضرته عليه السلام لهذه الآية، ثم جعلناه بتوفيق الله تعالى جزءًا لا يتجزأ من حياتنا، لصرنا من الذين يسعون لأداء حق عبودية الله تعالى. ولكن هذا لن يتأتى إلا إذا سعينا جاهدين لبلوغ المستوى المطلوب في عباداتنا، ثم استعنّا بالله تعالى منيبين إليه محرزين هذا المستوى في عباداتنا بتواضع، وعندها فقط سنُعَدّ من الذين يُسمّون عباد الرحمن، ونتحلى بتلك القوة الإيمانية التي يأمرنا الله بها، أو التي تُتوقع من المؤمن.

أقدم لكم الآن نزرًا من الجواهر الغالية من كنز العرفان الذي وهبه الله للمسيح الموعود عليه السلام، فقدّمه لنا في صورة كتبه ومنشوراته. يقول عليه السلام ما نصُّه:

"قدّم الله – عزّ وجلّ – قولَه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ على قوله: ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ إشارةً إلى تفضّلاته الرحمانية من قَبْلِ الاستعانة، فكأنّ العبد يشكر ربَّه ويقول: يا رب إني أشكرك على نعمائك التي أعطيتني، من قبْل دعائي ومسألتي وعملي وجهدي واستعانتي، بالربوبية والرحمانية التي سبقت سُؤْلَ السائلين، ثم أطلبُ منك قوةً وصلاحًا وفلاحًا وفوزًا ومقاصد التي لا تُعطَى إلا بعد الطلب والاستعانة والدعاء وأنت خير المعطين."

فالمرء حين يصبح عبدًا شاكرًا لله تعالى، متذكرًا نعمه التي أنعمها عليه بفيض رحمانيته ﷻ، فإنه يخطو أول خطوة ليعبد الله تعالى ويكون عبدًا حقيقيًا له. فبعد بلوغ هذا المقام يسعى العبد للعبادة، ويقول ربّ إني أريد أن أبلغ أعلى المستويات التي حدّدتها للناس ليصيروا عبادًا لك حقًا، وأرغب أن آخذ من جميع نعمائك، وأحرز المزيد من الرقي المادي والروحاني، ولكن كل هذا لا يتأتى بدون معونتك، فأَعِنّي، فإذا فعل ذلك انفتحت عليه أبواب نصرة الله أيضًا وقطع المزيد من أشواط الرقي والتطور.

فسيدنا المسيح الموعود عليه السلام يوضح لنا أنكم إذا شكرتم الله على نعمه التي منحها إياكم بفيض رحمانيته، انتبهتم إلى ضرورة عبادته ﷻ والاستعانة به أيضًا. هذا هو الأمر الأساس والروح الحقيقية التي يجب أن نضعها في الحسبان عند دعائنا ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾.

ثم يقول حضرته عليه السلام وهو يبين لك لماذا حثّك الله على هذا الدعاء:

"وفي هذه الآيات حثٌّ على شكرِ ما تُعطى، والدعاءِ بالصبر فيما تتمنى، وفرطِ اللَهَجِ إلى ما هو أتمّ وأعلى، لتكون من الشاكرين الصابرين. وفيها حثٌّ على نفي الحَول والقوة، والاستطراح بين يديه سبحانه مترقبًا منتظرًا مُديمًا للسؤال والدعاء والتضرع والثناء، والافتقار مع الخوفِ والرجاء، كالطفل الرضيع في يد الظئر، والموتِ عن الخَلْق وعن كل ما هو في الأرضين."

فحضرته عليه السلام يوضح هنا أن الله تعالى قد حثّنا على أن نكون عباده الشاكرين، وذلك من خلال الدعاء بالصبر كي ندخل، بسبب مثابرتنا على الدعاء بالصبر، في عباده الشاكرين الصابرين الذين يمن عليهم بمنه.

ثم يوضح عليه السلام أن الله تعالى قد حثّ العبد على ألا يزهو بجهده ولا قوته، وإنما عليه أن يلقي نفسه على عتبة الله راجيًا فضله، حامداً سائلاً داعيًا في تواضع وخشوع، أي: على العبد أن ينفي عن نفسه كل قوة وفضل،

موقنًا أن الله تعالى هو خالق كل قوة ومالكها، لذا فعليه بطرح نفسه بين يدي الله تعالى، متبتلاً ومنقطعًا إليه تعالى كليةً عن كل وسيلة وقرابة مادية، فإذا فاز بهذا المقام و لم يعتمد على قوة يده، ولا على نفسه، ولا على وسائله، عندها نبع من أعماقه دعاء ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾.

ثم يضيف حضرته عليه السلام وهو يذكّرنا أن على الداعي أن يعترف بكامل ضعفه وعجزه، وعندها فقط يمكنه أن يؤدي حق دعاء ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾، فيقول:

"وفيها حثٌّ على إقرارٍ واعتراف بأننا الضعفاء، لا نعبدك إلا بك، ولا نتحسس منك إلا بعونك، بك نعمل، وبك نتحرك، وإليك نسعى كالثواكل متحرقين وكالعشاق متلظّين."

أي: يجب أن يكون في قلب الداعي حرقة وألم واضطراب للفوز بوصال الله تعالى شأن الأم التي يحترق قلبها ويذوب على موت ولدها، وشأن العاشق الوَلَهان الذي يلتاع قلبه على فراق حبيبه.

ثم يقول حضرته عليه السلام:

"وفيها حثٌّ على الخروج من الاختيال والزَّهْو، والاعتصامِ بقوة الله تعالى وحولِه عند اعتياص الأمور وهجوم المشكلات، والدخولِ في المنكسرين. كأنه – تعالى شأنه – يقول: يا عبادِ، احسَبوا أنفسكم كالميتين، وبالله اعتضِدوا كل حين، فلا يَزْدَه الشابُّ منكم بقوّته، ولا يتحصّر الشيخ بهراوته، ولا يفرح الكَيِّسُ بدهائه، ولا يثق الفقيه بصحة علمه وجودةِ فهمه وذكائه، ولا يتّكئ الملهَم على إلهامه وكشْفه وخلوصِ دعائه، فإن الله يفعل ما يشاء، ويطرد مَن يشاء، ويُدخل مَن يشاء في المخصوصين."

ثم قال عليه السلام:

وفي جملة ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ إشارةٌ إلى عظمة شرّ النفس الأمّارة التي تسعى كالعَسّارة، فكأنها أفعى شرُّها قد طَمَّ، فجعَل كلَّ سليم كعظم إذا رَمَّ، وتراها تنفُث السّمَّ، أو هي ضِرْغامٌ ما ينكُل إنْ هَمَّ، ولا حولَ ولا قوةَ ولا كسْبَ ولا لَمَّ، إلا بالله الذي هو يرجم الشياطين."

(كرامات الصادقين)

فيبين هنا حضرته عليه السلام أن على الداعي أن يفكر خلال الدعاء أن نفسه الأمّارة تريد أن تدفعه إلى السيئات ومن واجبه أن يتجنبها، ولكنه لا يقدر على ذلك بجهده وقوته، إنما الله تعالى وحده القادر على حماية الإنسان من صولة الشيطان وتوفيقه للصالحات. فعلى العبد أن يقوم أمام الله تعالى متواضعًا ويدعوه: إلهي، اليوم لن ينقذني من الشيطان إلا أنت.

فما دام عباد الله المقربون أنفسهم لا يفتأون يدعون الله تعالى بتواضع شديد أنهم لا يستطيعون العيش بدون معونته تعالى، فما بالك بالإنسان العادي؟ فهو بأمسّ حاجة إلى الاستعانة بالله ﷻ. لقد ضرب الله في القرآن الكريم مثال سيدنا يوسف عليه السلام بأنه تضرّع إلى الله

"وفيها حثٌّ على إقرارٍ واعتراف بأننا الضعفاء، لا نعبدك إلا بك، ولا نتحسس منك إلا بعونك، بك نعمل، وبك نتحرك، وإليك نسعى كالثواكل متحرقين وكالعشاق متلظّين."

تعالى ليحميه من شر النفس الأمارة قائلا: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (يوسف: ٥٤)، أي: أني لا أبرّئ نفسي من الأخطاء، لأن نفس الإنسان جريئة جدًا على دفعه إلى السيئات، إلا الذي رحمه ربي، إن ربي كثير المغفرة والرحمة. فإذا دعا الداعي بهذا التفكير نال نصيبه من فيوض دعاء ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾. عندما يفكّر الإنسان أنه ما دام عباد الله المقربون يدعونه بهذا الدعاء، فما أحوجَني إلى الأدعية، وعندها يصبح عبدًا حقيقيًا لله تعالى.

ثم يقول المسيح الموعود عليه السلام:

"وفي تقديم ﴿نَعْبُدُ﴾ على ﴿نَسْتَعِينُ﴾ نكاتٌ أخرى، فنكتب للذين هم مشغوفون بآيات المثاني، لا برَنّاتِ المثاني، ويسعون إليها شائقين، وهي أن الله – عز وجل – يعلّم عباده دعاءً فيه سعادتُهم، فيقول يا عبادِ سَلُوني بالانكسار والعبودية، وقولوا: ربنا إياك نعبد، ولكن بالمعاناة والتكلف والتجشم وتَفْرقة الخاطر وتمويهاتِ الخنّاس وبالرويّة الناضبة والأوهام الناصبة والخيالات المظلمة كماءٍ مُكدَّرٍ من سَيْلٍ أو كحاطبِ ليلٍ، وإنْ نتّبعُ إلا ظنًّا وما نحن بمستيقنين."

إذًا لقد علّمنا الله تعالى لخيرنا هذا الدعاء الذي حثّنا فيه على الابتهال إليه مؤدين حق العبودية، وإنه تعالى قد وعدنا باستجابته أيضًا إذ أردفه بقوله ﴿وإياك نستعين﴾، ذلك أن العبد حين يدرك أنه يقول ﴿إياك نعبد﴾ إلا أنه لا يقدر على عبادة الله حقًا، فيشعر بالندم والعجز، فيستغيث الله تعالى قائلا: ﴿وإياك نستعين﴾، فيغيثه الله تعالى.

ثم يقول المسيح الموعود عليه السلام:

"﴿وإياك نستعين﴾ يعني: نستعينك للذوق والشوق والحضور والإيمان الموفور، والتلبية الروحانية والسرور والنور، ولتوشيح القلب بحُلي المعارف وحُلل الحبور، لنكون بفضلك من سبّاقين في عرصات اليقين، وإلى منتهى المآرب واصلين، وفي بحار الحقائق متوردين."

فهذا الدعاء يزيد العبد روحانيةً، وشوقًا للعبادة وحلاوةً منها، وإنابةً إلى الله تعالى خالصةً.

ثم يقول المسيح الموعود عليه السلام وهو يبين أن دعاء ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ هو معراج المؤمن:

"وفي قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ تنبيه آخر، وهو أنه يرغّب فيه عبادَه إلى أن يبذلوا في مطاوعته جُهْدَ المستطيع، ويقوموا مُلبّين في كل حين تلبيةَ المطيع. فكأن العباد يقولون:

"يا عبادِ، احسَبوا أنفسكم كالميتين، وبالله اعتضِدوا كل حين، فلا يَزْدَه الشابُّ منكم بقوّته، ولا يتخصّر الشيخ بهراوته، ولا يفرح الكَيِّسُ بدهائه، ولا يثق الفقيه بصحة علمه وجودةِ فهمه وذكائه، ولا يتّكئ الملهَم على إلهامه وكشْفِه وخلوصِ دعائه، فإن الله يفعل ما يشاء، ويطرد مَن يشاء، ويُدخل مَن يشاء في المخصوصين."

ربنا إنّا لا نألو في المجاهدات، وفي امتثالك وابتغاء المرضاة، ولكن نستعينك ونستكفي بك الافتنانَ بالعُجب والرياء، ونستوهب منك توفيقًا قائدًا إلى الرشد والرضاء، وإنّا ثابتون على طاعتك وعبادتك، فاكتُبْنا في المطاوعين."

أقول: لو فكّرنا ودعونا للمثابرة على الطاعة والعبادة، لسعينا جاهدين للعمل بأحكام الله تعالى ورفعِ مستوى عباداتنا وانتظارِ صلاة بعد أداء صلاة، كما ورد في الحديث الشريف أن المؤمن يفكر في الصلاة التالية بعد أداء صلاة، والجمعة الآتية بعد أداء جمعة، ورمضان القادم بعد انصرام رمضان، لكي يؤدي حق عبادة الله. ثم إنه سيسعى للتحلي بمكارم الأخلاق. وهذا هو معراج العبودية.

ثم إن سيدنا المسيح الموعود عليه السلام يذكّرنا أن دعاءنا هذا يجب أن يتّسع فيشمل أجيالنا وأسرنا وجماعتنا أيضًا، لكي يتوجه الجميع إلى وجهة واحدة، ويرثوا أفضال الله تعالى، ويؤدي بعضهم حقوق بعض. فيقول عليه السلام:

"وهنا إشارة أخرى وهي أن العبد يقول يا ربّ إنّا خصصناك بمعبوديّتك، وآثرْناك على كل ما سواك، فلا نعبد شيئا إلا وجهك، وإنّا من الموحّدين. واختار – عز وجل – لفظَ المتكلّم مع الغير إشارةً إلى أن الدعاء لجميع الإخوان لا لنفس الداعي، وحثَّ فيه على مسالمة المسلمين واتحادهم ووادهم، وعلى أن يعنو الداعي نفسَه لنصح أخيه كما يعنو لنصح ذاته، ويهتمّ ويقلق لحاجاته كما يهتم ويقلق لنفسه، ولا يفرّق بينه وبين أخيه، ويكون له بكل القلب من الناصحين. فكأنه تعالى يوصي ويقول يا عِباد تَهادوا بالدعاء تَهادي الإخوان والمحبّين، وتَناثَوا دعواتِكم وتَباثَوا نيّاتكم، وكونوا في المحبّة كالإخوان والآباء والبنين."

فالمرء عندما يدعو بصيغة الجميع قائلا: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ فيجب أن يفكر في أداء حقوق الآخرين، ويقول ما دمتُ أدعو الله تعالى بهذا الدعاء حتى أودي حقوق الله وأتطور روحانيًا، فعلي أن أحب الخير لأخي أيضًا، فمثل هذا التفكير سيساعد حتمًا على خلق مجتمع جميل. لذا يقول المسيح الموعود عليه السلام ينبغي على الإنسان أن يشق على نفسه من أجل أخيه كما يشق عليها لنفسه، ولو فعل ذلك وقام بدعاء ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ بهذا التفكير لم يهضم حقوق الآخرين.

ثم يقول عليه السلام:

لقد جمع الله هنا الدعاء والتدبير معًا، لأن المؤمن يقوم بالاثنين، ذلك أن التدبير بدون الدعاء ليس بشيء، والدعاء بلا التدبير ليس بشيء، فقال عليه السلام: إن الجمع بين التدبير والدعاء هو الإسلام، ومن أجل ذلك قلت إن على المرء أن يتخذ التدبير كما ينبغي ويقوم بالدعاء كما ينبغي من أجل تجنُّب الإثم والغفلة، حيث

المؤمن يفكر في الصلاة التالية بعد أداء صلاة، والجمعة الآتية بعد أداء جمعة، ورمضان القادم بعد انصرام رمضان، لكي يؤدي حق عبادة الله. ثم إنه سيسعى للتحلي بمكارم الأخلاق. وهذا هو معراج العبودية.

نجد القرآن الكريم قد راعى هذين الأمرين في أول سوره فقال ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾، فقوله تعالى ﴿إياك نعبد﴾ يشير إلى التدبير، وقد ذكَره أولاً للإشارة إلى أن أول ما يجب على الإنسان هو أن يتخذ الأسباب والتدبير كما ينبغي، ولكن عليه ألا ينسى الدعاء، بل يجب أن يدعو مع التدبير. والمؤمن عندما يدعو الله تعالى قائلا: ﴿إياك نعبد﴾ يفكّر فورًا أنه لا يقدر على عبادة الله ما لم يشمله فضله ورحمته، فلا يلبث أن يقول ﴿وإياك نستعين﴾.

وهذا المسألة التي هي بالغة الأهمية لم يذكرها أي دين سوى الإسلام.

فحضرته عليه السلام يوضح أن على المؤمن أن يعمل الاثنين: التدبير والدعاء. عليه أن يتخذ التدبير كما هو حقه، ثم يتكل على الله تعالى ويدعوه، وهذا ما عُلِّمنا في أول سورة من القرآن الكريم حيث قيل ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾. إن الذي لا يستخدم ما أعطاه الله من قوى وقدرات فإنه يضيعها ولا يقدرها حق قدرها، بل يرتكب إثما.

فحضرته عليه السلام يوضح أنك إذا لم تأخذ الأسباب والتدابير كما ينبغي وظننت أن الدعاء الذي تقوم به هو وحده سيحل مشكلتك، فهذا إثم.

ثم قال عليه السلام:

إن الإنسان يتمنى حتمًا أن يكون صالحًا، ولكن تحقيق ذلك يحتّم عليه الاستعانة بالله تعالى، ومن أجل ذلك أمره الله تعالى بقراءة الفاتحة في صلواته الخمس، فعلّمه أن يقول ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾، وفيه إشارة إلى أمرين: فقوله ﴿إياك نعبد﴾ إشارة إلى وجوب استخدام القدرات وبذل الجهود واتخاذ التدابير لكل عمل صالح، ذلك أن الذي يكتفي بالدعاء ولا يبذل جهدًا فإنه يفشل في مقصده، إذ كيف يمكن للفلاح الذي يبذر البذرة ثم لا يبذل جهدًا بعده أن يرجو ثمرًا، بل إن من سنة الله أن الفلاح إذا اكتفى ببذر البذرة والدعاء، فلا بد أن يُحرَم الثمر.

إن الفلاحين يعرفون جيدًا أنه لا بد لهم بعد بذر البذور من سقي الزرع وتسميده واقتلاع الطفيليات منه، وحمايته من الحيوانات. وهذا القانون ساري المفعول في كل مجال وحتى في الأمور الروحانية أيضًا. وهذا أمرٌ قد تناوله الإسلام بشكل رائع جدًا ولم تذكره أية ديانة سواه، كما وضح حضرته عليه السلام.

ثم يقول حضرته عليه السلام وهو يحث على المثابرة على هذا الدعاء إذ لا يدري الإنسان متى يستجاب دعاؤه، فهناك ساعات لقبول الدعاء، ثم لا يدري المرء متى يستجاب له، وما يعجب الله من عمله.

لقد قال الله تعالى ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾.. والذين يدعون الله تعالى بتواضع راجين لعل الله يرضى بتواضعهم وخشوعهم، فإن الله تعالى يكون ناصرهم ومعينهم. لذا فعلى العبد أن يواصل الدعاء والاستعانة بالله بتواضع وخشوع.

ويقول المسيح الموعود عليه السلام في موضع آخر:

اعلموا أن الاستعانة الحقيقية هي بالله فقط، وقد ركّز القرآن الكريم على هذا كثيرا فقال ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾.

هذا أمر لا بد من استيعابه جيدًا، أي أن على المرء أن لا يبرح يقف أمام الله تعالى ويسأله بثبات وإلحاح وتكرار. هناك قصة لأحد أصحاب المسيح الموعود عليه السلام لا أذكر اسمه الآن، حيث يقول الراوي: رأيت هذا الصحابي قام لأداء صلاة النفل في المسجد الأقصى بقاديان، فلما وجدت أنه قائم منذ حوالي ثلث ساعة أو أكثر ولا يقوم بأي حركة

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ ليُستخلَصوا من مرض الرياء، وأمَر أن يقولوا: ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ليُستخلَصُوا من مرض الكبر والخيلاء، وأمَر أن يقولوا: ﴿اهْدِنَا﴾ ليُستخلَصوا من الضلالات والأهواء. فقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ حثٌّ على تحصيل الخلوص والعبودية التامة، وقوله: ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ إشارةٌ إلى طلب القوّة والثبات والاستقامة، وقوله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ﴾ إشارةٌ إلى طلب علمٍ مِن عنده وهدايةٍ مِن لدنه لطفًا منه على وجه الكرامة.

أخرى، أحببت أن أسمع ما يقول إذ كان يحدث صوتًا خافتًا، فذهبتُ وجلست بالقرب منه، فإذا هو يردد دعاء ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾، وظل يردده بصوت خافت حوالي ربع ساعة.

هذا هو مدى عرفان هؤلاء القوم الذين نالوا شرف صحبة المسيح الموعود عليه السلام، وهذا هو الفهم والإدراك والعرفان الذي يجب على المؤمن السعي لنيله، لأن هذا يساعده على العبادة حقًا.

ويبين المسيح الموعود عليه السلام الطرق التي تساعد على العبادة كما ينبغي فيقول ما نصه:

"ثم اعلم أن قوله تعالى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يدل على أن السعادة كلها في اقتداء صفات رب العالمين."

إذن، فمن واجب العبد أن يدعو الله تعالى بإلحاح وتكرار، كما عليه أن يتدبر صفات الله ويفهمها، ثم يحاول صياغة حياته على ضوء تلك الصفات الإلهية، وإلا سيُعَدّ ترديده لهذه الكلمات تكرارًا فارغًا كما تفعل الببغاء. لقد نال صحابة الرسول عليه السلام هذا العرفان العظيم لصفات الله تعالى، ثم نال هذا العرفان قوم عاشوا في صحبة المسيح الموعود عليه السلام، وبفضل الله تعالى لا يزال هناك أفراد في جماعتنا يدركون هذا الأمر ويقومون بالدعاء على هذا المنوال.

ثم يقول المسيح الموعود عليه السلام ما نصه:

"ثم لما كان المانع من تحصيل تلك الدرجات الرياءَ الذي يأكل الحسنات، والكبرَ الذي هو رأس السيئات، والضلالَ الذي يُبعد عن طرق السعادات، أشار إلى دواء هذه العلل المهلكات، رحمةً منه على الضعفاء المستعدّين للخطيّات وترحّمًا على السالكين، فأمَر أن يقول الناس: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ ليُستخلَصوا من مرض الرياء، وأمَر أن يقولوا: ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ليُستخلَصُوا من مرض الكبر والخيلاء، وأمَر أن يقولوا: ﴿اهْدِنَا﴾ ليُستخلَصوا من الضلالات والأهواء. فقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ حثٌّ على تحصيل الخلوص والعبودية التامة، وقوله: ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ إشارةٌ إلى طلب القوّة والثبات والاستقامة، وقوله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ﴾ إشارةٌ إلى طلب علمٍ من عنده وهدايةٍ من لدنه لطفًا منه على وجه الكرامة. فحاصل الآيات أن أمر السلوك لا يُتمَّم أبدًا ولا يكون وسيلةً للنجاة إلا بعد كمال الإخلاص وكمال الجهد وكمال فهم الهدايات، بل كلُّ خادم لا يكون

صالحا للخدمات إلا بعد تحقُّق هذه الصفات." (كرامات الصادقين)

فهذا هو مقام العبد الحقيقي، وعلى المؤمن السعي للوصول إليه.

ويقول المسيح الموعود عليه السلام وهو يبين حقيقة الأدعية المستجابة ما نصه:

"اعلمْ أن حقيقة العبادة التي يقبَلها المولى بامتنانه، هي التذلل التام برؤية عظمته وعلوّ شأنه، والثناءُ عليه بمشاهدة مِننه وأنواع إحسانه، وإيثارُه على كل شيء بمحبّة حضرته وتصوُّر محامده وجماله ولمعانه، وتطهيرُ الجنان من وساوس الجنّة نظرًا إلى جِنانه." (إعجاز المسيح)

ثم يضيف عليه السلام في بيان حقيقة العبادة ويقول:

لقد علمنا الله تعالى في أول سورة في القرآن أعني سورة الفاتحة دعاء ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾. المراد من العبادة هنا العبادة المعروفة والعرفان، أي التوفيق للعبادة ولعرفانها. وقد أشار الله تعالى في الجملة إلى ضعف العبد وعجزه.

أقول: لذا علينا أن نردد بألسنتنا ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾، وأن نعرف لماذا نردد هذا الدعاء، وهذا العرفان إنما يتيسر لنا إذا كنا متواضعين حقًا كما بين المسيح الموعود عليه السلام.

ثم يقول عليه السلام:

إن المرء يدعي عبادة الله، لكن هل تتم عبادة الله بكثير من السجود والركوع والقيام فقط، أم هل يمكن أن يسمى الذين يُكثِرون من تحريك حبات السبحة عابدين لله تعالى. كلا، إنما العابد مَن تجذبه محبةُ الله بحيث يتفانى في الله تعالى وكأنه لم يبق له وجود. يجب على العابد

العابد من تجذبه محبةُ الله بحيث يتفانى في الله تعالى وكأنــه لم يبق له وجود.

أولاً أن يوقن بوجود الله تعالى يقينًا كاملا، ثم يجب أن يكون مطّلعًا على حسن الله وإحسانه (أي يجب أن يدرك أن ما عنده من نعم إنما هي عطاء من الله تعالى)، ثم يجب أن يبلغ حبُ الله فيه مبلغًا بحيث يجد في قلبه حرقة ولوعة حتى ينكشف حاله هذا من وجهه، وتستولي عظمة الله على قلبه بحيث يبدو له كل العالم ميتًا إزاء الله تعالى، وألا يخشى إلا الله، وأن يجد في تحمل الآلام في سبيله متعة ما بعدها متعة، وأن يجد الراحة كلها في خلوة الله، ولا يطمئن قلبه إلا به ﷻ. هذه الحالة هي العبادة. ولكن أنَّى للمرء أن يصير إلى هذا الحال بدون معونة الله الخاصة، ومن أجل ذلك قد عُلّمنا دعاء ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾، أي: ربنا إننا نعبدك، ولكن أنى لنا أن نعبدك حق العبادة إلا إذا أعنتَنا إعانة خاصة. إن عبادة الله باعتباره المحبوب الحقيقي هي الولاية، التي ليس فوقها درجة. ولكن هذه الدرجة لا يبلغها الإنسان بدون معونة الله. وعلامة بلوغ المرء هذه الدرجة أن تصبح عظمة الله مسيطرةً على قلبه، ومحبتُه ﷻ راسخةً في فؤاده، فلا يثق قلبه إلا به، ولا يرضى إلا به، ولا يؤْثر إلا إياه، ويصبح ذِكرُه ﷻ غاية حياته.

ثم يبين المسيح الموعود عليه السلام ما هو جوهر العبادة كالآتي:

إن خلاصة أصل العبادة إنما هي أن المرء إذا قام أمام الله تعالى فيجب أن يوقن أنه يرى الله تعالى أو أن الله يراه، وأن يتطهر من كل شائبة وشرك، ويفكر في عظمة الله وربوبيته، ويُكثر

من الأدعية، المأثورة وغير المأثورة، ويتوب ويستغفر الله كثيرًا، ويعترف بضعفه وهوانه مرة بعد أخرى، لكي تتزكى نفسه وتكون له علاقة متينة مع الله تعالى، ويتفانى في حبه ﷻ. هذه هي خلاصة الصلاة كلها، وقد شملتْها سورة الفاتحة تماما. فجملة ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ اعتراف بالضعف والتقصير، وطلبُ العون من الله وحده، والتماس النصرة من الله وحده، ثم الدعاء للسير في سبل الله ورسله والفوز بالنعم التي نزلت على الدنيا بواسطة الأنبياء والرسل، والتي لا يمكن نيلها إلا باتّباع خطواتهم، ثم الدعاء بأن يجنّبنا الله تعالى سبيل الذين كفروا برسل الله أنبيائه لكبرهم وشرّهم، فحلّ بهم غضب الله في هذه الدنيا نفسها، أو سبيل الذين اتخذوا الدنيا ونسوا غاية خلقهم منحرفين عن الصراط المستقيم.

إن كراهية الإثم نعمة عظيمة، أما وكيف تتيسر هذه النعمة، يقول المسيح الموعود عليه السلام:

ليس هناك نعمة أعظم من أن يكره الإنسان الإثم وأن يحفظه الله بنفسه من المعاصي، ولكن هذه النعمة لا تتيسر لأحد بالتدبير فقط أو بالدعاء فقط، بل لا بد له من الاثنين، كما علّمنا الله تعالى في قوله ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾، أي: على المرء أولاً أن يستخدم قواه التي وهبه الله إياها، ثم يسلّم أمره إلى الله قائلا: رب، لقد بذلتُ كل ما كان في وسعي وقدرتي، وهذا هو مفهوم قوله ﴿إياك نعبد﴾، ثم يقول ﴿وإياك نستعين﴾ أي: رب الآن أستعين بك فيما تبقى من المراحل. إنه لسفيهٌ جدًا مَن لا يستخدم ما أعطاه الله من قدارت وكفاءات مكتفيا بالاستعانة بالله بالدعاء فقط، فأنى لهذا أن يفلح في مرامه.

يقول عليه السلام:

إن الذي يسأل الله تعالى بالدعاء والتدبير هو المتقي وهو الذي يستجاب دعاؤه، أما إذا لم يقم بالدعاء مع جهده فلا فائدة في ذلك أيضًا، كما بيّنت آنفًا.

ثم يقول عليه السلام:

لو أنه قام بالدعاء مع بذل الجهود، ثم صدرت منه زلة، لحفظه الله من مغبتها.

إذًا، لو بذل المرء جهده، وقام بالدعاء أيضًا، فإن الله تعالى يكّرهُ إليه الآثامَ ويحميه من نتائجها المدمرة أيضًا.

ثم إن المسيح الموعود عليه السلام يبين لنا مفهومًا آخر لقوله تعالى ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ بربطه بصفتي الله الحي والقيوم ويقول:

اعلم أن الله تعالى قد ذكر في القرآن اثنين من أسمائه وهما الحي والقيوم. والحي مَن هو حي ويهب الحياة للآخرين، وأما القيوم فيعني أنه تعالى قائم بذاته كما هو سند حقيقي لقيام الآخرين وبقائهم. إن كل شيء حيٌّ وقائمٌ بفيض هاتين الصفتين الإلهيتين.

ليس هناك نعمة أعظم من أن يكره الإنسان الإثم وأن يحفظه الله بنفسه من المعاصي، ولكن هذه النعمة لا تتيسر لأحد بالتدبير فقط أو بالدعاء فقط، بل لا بد له من الاثنين، كما علّمنا الله تعالى في قوله ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾

واسم الحي يقتضي أن يُعبَد الله وحده كما يدل عليه قوله تعالى في سورة الفاتحة ﴿إياك نعبد﴾، واسم القيوم يتطلب أن يُرجى العون منه وحده، كما هو مفهوم قوله تعالى ﴿وإياك نستعين﴾.

فسواء كانت الأمور الدنيوية والترقيات المادية أو الأمور الروحانية والرقي الروحاني فإن الإنسان لا ينتفع بفيوض هذا الدعاء ولن يرث نعم الدنيا والآخرة إلا إذا صار عبدًا حقيقيًا لله تعالى. لقد بينت من قبل أن الشكر على فيوض رحمانية الله يرغّب الإنسان في العبادة وطلب فيوض الرحيمية، وهذا هو معنى الاستعانة. والواضح أن هذا المفهوم يغطي المعاملات المادية والأمور الروحانية كلها.

لقد قلت في بداية خطبتي أن الصلاة مخ العبادة، وقد قال المسيح الموعود عليه السلام في توضيح ذلك ما نصه: "

"ومن أفضل العبادات أن يكون الإنسان محافظًا على الصلوات الخمس في أوائل أوقاتها، وأن يجهد للحضور والذوق والشوق وتحصيل بركاتها، مواظبًا على أداء مفروضاتها ومسنوناتها. فإن الصلاة مركَبٌ يوصل العابد إلى رب العباد، فيصل بها إلى مقام لا يصل إليه على صهوات الجِياد، وصيدُها لا يُصاد بالسهام، وسرُّها لا يظهر بالأقلام. ومن التزمَ هذه الطريقة، فقد بلَغ الحقَّ والحقيقةَ، وأَلْفَى الحِبَّ الذي هو في حُجب الغيب، ونجا من الشك والريب، فترى أيامَه غُرَرًا، وكلامَه دُرَرًا، ووجهَه بدرًا، ومقامَه صدرًا. ومَن ذلَّ لله في صلواته أذلّ الله له الملوكَ، ويجعل مالكًا هذا المملوكَ."

(إعجاز المسيح)

لا جرم أن الصلاة أفضل العبادات وأنها وسيلةٌ تقرّب العبد إلى الله تعالى، ولكن الله تعالى قد صرح بنفسه أن صلوات بعض الناس لا تحظى بالقبول، لأنهم لا يؤدونها حق الأداء. إن بعض الناس يشتكون أنهم لا يجدون المتعة في الصلاة، ولا تستولي عليهم في الصلاة تلك الحالة التي يجب أن تستولي، مع أنهم أهل صلاح ويريدون أن يتمتعوا بالصلاة. يخبر المسيح الموعود عليه السلام علاج ذلك ويقول:

إن بعض الناس يقولون إنهم لا يجدون المتعة في الصلاة، ولكني أقول لمثل هؤلاء أن يواظبوا على الصلوات ويصلّوا بكثرة. ذلك أن السالك يصاب بالقبض الروحاني في المراحل الأولى في سبيل التقوى، وعليه في هذه الحالة أن يردد قوله تعالى ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ مرة بعد أخرى. في الكشف يتراءى الشيطان على شاكلة السارق، لذا على العبد أن يستغيث الله تعالى في الصلاة قائلا رب إن هذا السارق يطاردني، فأستنصرك عليه معتصمًا بك. إن الذين يستغيثون الله على الشيطان على هذا النحو ويستعينون

فإن الصلاة مركَبٌ يوصل العابد إلى رب العباد، فيصل بها إلى مقام لا يصل إليه على صهوات الجِياد، وصيدُها لا يُصاد بالسهام، وسرُّها لا يظهر بالأقلام. ومن التزمَ هذه الطريقة، فقد بلَغ الحقَّ والحقيقةَ، وأَلْفَى الحِبَّ الذي هو في حُجب الغيب، ونجا من الشك والريب....

به في دعائهم ولا يسأمون ولا يملون، فإنهم يجدون قوة يهلكون بها الشيطان.

ولكن هذه الاستغاثة تتطلب صدقًا وحرقة عظيمين في الدعاء. كيف يتيسر ذلك للمصلي؟ إنما يتيسر له إذا تصور أن الشيطان يهاجمه كالسارق. وكيف تتولد في قلبه هذه الحرقة واللوعة؟ إنما تتولد فيه بالإنابة إلى الله بصدق. إذا تصور العبد أن الشيطان يطارده ويصول عليه كاللص، وأنه يحاول أن يعرّيه كما فعل بآدم حتى ألقاه في الابتلاء، فإن روحه ستصرخ عاليا ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾.

لقد ضربتُ قبل قليل مثالَ الصحابة رضي الله عنهم أو الذين تيسرَ لهم العرفان كيف أنهم كانوا لا يبرحون يرددون في الصلاة هذه الكلمة مرة بعد أخرى لكي يودوا حق العبادة، ويلوذوا من الشيطان بملاذ الله تعالى مستعينين به، وليرثوا المزيد من أفضال الله تعالى.

ثم يقول حضرته عليه السلام:

عليكم أن ترددوا في الصلوات ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ كثيرًا.

إن قوله ﴿إياك نستعين﴾ يردّ إليكم فضلَ الله الذي هو متاعكم المفقود.

لقد بينتُ من قبل أن تكرار هذه الكلمة تنبّه الإنسان إلى عبادة الله.

ندعو الله تعالى أن يوفقنا أن نصوغ حياتنا بهذه العبارات من نور وهذه الجواهر الثمينة، وأن ندخل في عباد الله الذين يستعينون به كل حين وآن، والذين يعيذهم الله بملاذه، وأن ننتفع من بركات شهر رمضان حق الانتفاع. ركّزوا على الدعاء في هذه الأيام الباقية خاصةً.

إذا لم يزدْ عِلمُ الفَتى قلبَهُ هُدى ... وسيرتَه عدْلاً وأخلاقَهُ حُسنا

فبَشِّرهُ أنَّ اللهَ أولاهُ نقمةً ... يُساءُ بها مثلَ الذي عَبَدَ الوَثَنا

ما تمَّ حِلمٌ ولا عِلمٌ بلا أدبٍ ... ولا تَجاهَل في قومٍ حليمانِ

وما التَّجاهلُ إلا ثوبُ ذي دَنسٍ ... وليسَ يلبَسُه إلا سَفيهانِ

(مقتبسان من ديوان الإمام الشافعي "رحمه الله")

أحمدية الشيخ محمد الغزالي

هاني طاهر

التقيت بعدد من كبار المثقفين بين المشايخ فرأيتُهم أقرب إلى الفكر الإسلامي الأحمدي، وكنت أقول لهم: الحجة عليكم قائمة أكثر من غيركم، وذنبُكم أكبر، فأنتم مَن يسهل عليه أن يحسّ بصدق المسيح الموعود عليه السلام، لأنه من ثماره تعرفونه، فما دمتم تتبنَّوْن هذه الأفكار السامية التي تحدث عنها حضرته قبل أكثر من مائة عام وترَوْنها الحق المبين، فهل يمكن أن يكون حضرته متقولا؟ وهل يقبل الله تعالى أن تأتي الدرر هذه عن طريق متقوّل؟ وهل تقدِّم ثمارا طيبة غير الشجرة الطيبة؟

كنتُ أتمنى أن ألتقي بالشيخ محمد الغزالي، ولكنه توفي قبل عامين من إيماني بالمسيح الموعود عليه السلام. هذا الشيخ الذي أحببتُ كتبه المتخصصة في نقد السلفيين وسطحيتهم وعداوتهم وبغضائهم وقساوتهم.. وفيما يلي بعض الأمثلة من أقواله التي جاءت أحمديةً بحتة:

اعتبار القول بوفاة المسيح خيرا

لم يوافق الغزالي على القول بوفاة المسيح فحسب، فهذا أمر مفروغ منه عند مفكّر مثله، ولكنه أضاف إلى ذلك فكرة أن القول بذلك هو خير للمسلمين.

يقول الشيخ محمد الغزالي:"ومن رأيي أنَّه خير لنا نحن المسلمين ... أن نرى الرأي الذي يقول إنَّ عيسى مات، وإنَّه انتهى.. وأرى من الآيات التي أقرؤها في الكتاب أنّ عيسى مات، وأن موته حق، وأنَّه كموت سائر النبيين"(المسيحية، شلبي، ص٥٦).

قارنوا ذلك بما قاله المسيح الموعود عليه السلام قبل ذلك بستين عاما:

"اعلموا جيدًا أن العقيدة الصليبية لن تموت من دون إثبات موت المسيح الناصري عليه السلام، فما **الفائدة** من الاعتقاد بحياته خلافًا لتعاليم القرآن؟ دَعُوه يَمُتْ ليحيا هذا الدين". (سفينة نوح)

الجهـــاد

بيّن الغزالي بوضوح أن علة القتال في الشرع الإسلامي هي العدوان وليس الكفر، فقال: "ولو كانت دولتا الروم والفرس تقومان على مبادئ الحرية والعدالة وضمان الحقوق الإنسانية ما قامت بيننا وبينهما حروب". (جهاد الدعوة)

قارنوا ذلك بما قاله المسيح الموعود عليه السلام قبل ذلك بعشرات السنين وكرره مرارا:

"كانت حروب نبينا ﷺ وأصحابه إما لحماية أنفسهم من هجمات الكفار، أو لإرساء السلام، أو لدفع عدوان الذين يريدون القضاء على الدين بالسيف؛ ولكن مَن مِن المخالفين اليوم يرفع السيف من أجل الدين، ومن ذا الذي يمنع أحدًا من الدخول في الإسلام، ومن ذا الذي يمنع من رفع الأذان في المساجد ومن الصلاة فيها؟" (ترياق القلوب، الخزائن الروحانية مجلد ١٥ ص ١٥٨-١٥٩)

الحجة عليكم قائمة أكثر من غيركم، وذنبُكم أكبر، فأنتم مَن يســـهل عليه أن يحسّ بصدق المسيح الموعود عليه السلام، لأنه من ثماره تعرفونـــه، فما دمتم تتبنَّوْن هذه الأفكار السامية التي تحدث عنها حضرته قبل أكثر من مائة عام وترَوْنها الحق المبين، فهل يمكن أن يكون حضرته متقولا؟

انتهاء الجزية بانتهاء مبرراتها

يقول الشيخ محمد الغزالي: "إن الجزية ما تؤخذ إلا من المعتدين والمريبين في مقابل الدفاع عنهم، فإذا انقطعت أسبابها انقطعت معها". (حقيقة القومية العربية)

قارنوا ذلك بما قاله المسيح الموعود عليه السلام قبل ذلك بعشرات السنين وكرره مرارا: "لماذا لا يتفكرون في أن النبي ﷺ قد قال بحق المسيح الموعود قبل ثلاثة عشر قرنا بأنه سوف "يضع الحرب".. مما يعني أن المسيح الموعود سينهي ببعثته الحروبَ، وإلى ذلك تشير الآية القرآنية ﴿حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾.. أي قاتلوا حتى يأتي زمنُ المسيح (الحكومة الإنجليزية والجهاد)

النسخ في القرآن الكريم

كتب الغزالي: "إن تجويز النسخ يفتح باب التهوين لسائر النصوص". (جهاد الدعوة بين عجز الداخل وكيد الخارج)

وقال المسيح الموعود عليه السلام: "إذا سَلَّم أحد بأنه لا تزال في القرآن آيات منسوخة..فلماذا يكلف نفسه عناء التدبر فيه والعمل به؟ سيقول في نفسه: لماذا أضيع جهدي ووقتي في ذلك؟ من يدري أن الآية التي أُعمل فكري فيها يتبين لي فيما بعد أنها كانت منسوخة؟ ولكن الذي يؤمن أن هذا الكلام بتمامه وكماله منزه عن النسخ، وأن كل لفظ منه جدير بالعمل به..لا بد أن يتدبر القرآن، وهكذا يزيده القرآن علما ومعرفة. (التفسير الكبير)

تقديم القرآن على الحديث

يقول الشيخ محمد الغزالي في

كتابه السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث :"كل ما نحرص عليه هو شد الانتباه إلى ألفاظ القرآن ومعانيه، فجملة غفيرة من أهل الحديث محجوبون عنها، مستغرقون في شؤون أخرى تعجزهم عن تشرُّب الوحي". وقال:"وقد ضقت ذرعًا بأناس قليلي الفقه في القرآن كثيري النظر في الأحاديث، يصدرون الأحكام، ويرسلون الفتاوى فيزيدون الأمة بلبلة وحيرة". وقال:"والزعم بأن حديث آحاد ينسخ آية من القرآن الكريم زعمٌ في غاية الغثاثة". وقال:"إن القاصرين من أهل الحديث يقعون على الأثر لا يعرفون حقيقته ولا أبعاده، ثم يشغبون به على الدين كله دون وعي".

أما المسيح الموعود عليه السلام فقد قال قبل ذلك بعقود:

"وآمنَّا بالفرقان أنه من الله الرحمن، ولا نقبل كلَّ ما يعارض الفرقانَ ويخالف بيِّناته ومحكَماته وقصصَه، ولو كان أمرًا عقليًّا أو كان من الآثار التي سمَّاها أهل الحديث حديثًا، أو كان من أقوال الصحابة أو التابعين؛ لأن الفرقان

إذا سَلَّم أحد بأنه لا تزال في القرآن آيات منسوخة.. فلماذا يكلف نفسه عناء التدبر فيه والعمل به؟ ..... ولكن الذي يؤمن أن هذا الكلام بتمامه وكماله منزه عن النسخ، وأن كل لفظ منه جدير بالعمل به..لا بد أن يتدبر القرآن، وهكذا يزيده القرآن علما ومعرفة.

الكريم كتاب قد ثبت تواتره لفظًا لفظًا، وهو وحيٌ متلُوٌّ قطعي يقيني، ومَن شكَّ في قطعيته فهو كافر مردود عندنا ومن الفاسقين. والقرآن مخصوص بالقطعية التامة، وله مرتبة فوق مرتبة كلِّ كتاب وكل وحي. ما مسَّه أيدي الناس. وأما غيره من الكتب والآثار فلا يبلغ هذا المقامَ. ومن آثَرَ غيرَه عليه فقد آثر الشك على اليقين." (تحفة بغداد، ص ٣٤)

تقدير أبي حنيفة والفقه الحنفي

قال محمد الغزالي: "أبو حنيفة يرى أن من قاتلنا من أفراد الكفار قاتلناه، فإن قتل فإلى حيث ألقت، أما من له ذمة وعهد فقاتله يُقتصّ منه. ومن ثم رفض حديث "لا يقتل مسلم بكافر"، مع صحة سنده، لأن المتن معلول بمخالفته لنص القرآني "النفس بالنفس" ... وعند التأمل نرى أن الفقه الحنفي أدنى إلى العدالة، وإلى مواثيق حقوق الإنسان، وإلى احترام النفس البشرية دون نظر إلى البياض والسواد أو الحرية والعبودية، أو الكفر والإيمان. (السنة النبوية، ١٨).

يقول المسيح الموعود عليه السلام: والحق أنه (أبو حنيفة) كان أفضل وأعلى من الأئمة الثلاث الآخرين من حيث قوة اجتهاده وعلمه ودرايته وفهمه وفراسته. وإن القوة التي وهبها الله تعالى له للوصول إلى القرار الصائب كانت متقدمة بحيث كان يستطيع أن يفرّق بين الثبوت وعدمه بكل سهولة. كانت قوته المدركة موهوبة بوجه

خاص في فهم القرآن الكريم. وكان لطبعه انسجام خاص مع كلام الله تعالى، وكان قد بلغ من المعرفة مبلغا أعلى. لذلك اعتُرِفَ بمرتبته العليا في الاجتهاد والاستنباط التي تقاصر عنها الآخرون. سبحان الله! كيف فهِم هذا الإمام الرباني والذكي إشارة عليا ورفيعة لآية واحدة وترك كشيء رديء أحاديث كثيرة كانت تعارض الآية، وما خاف طعن الجهلاء قط. (إزالة الأوهام)

الجن والأشباح

أبدى الشيخ محمد الغزالي استنكاره للاعتقاد السائد بالتلبس فقال ساخرا : "هل العفاريت متخصصة في ركوب المسلمين وحدهم؟ لماذا لم يشكُ ألماني أو ياباني من احتلال الجن لأجسامهم؟"وتابع قائلاً: "إن سمعة الدين ساءت من شيوع هذه الأوهام بين المتدينين وحدهم! إنكم تعلمون أن العلم المادي اتسعت دائرته ورست دعائمه، فإذا كان ما وراء المادة يدور في هذا النطاق فمستقبل الإيمان كله في خطر. فلنبحث علل أولئك الشاكين بروية، ولنرح أعصابهم المنهكة، ولا معنى لاتهام الجن بما لم يفعلوا !! (السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث، ص٩٣-٩٤)

أما أقوال الخليفة الثاني التفصيلية في موضوع الجن وأقوال المسيح الموعود عليه السلام المجملة فهي مشهورة لا داعي لسردها هنا.

وهناك قضايا أخرى يقول فيها الغزالي بما قاله المسيح الموعود عليه السلام وهي في ذهني، ولكني لم أجد عبارات الغزالي فيها في هذه العجالة، ولا أرى ضرورة أن أكتبها بالمعنى، فالأمثلة السابقة تكفي لإيصال الفكرة، والتي كانت الغاية منها إظهار صدق المسيح الموعود عليه السلام، حيث إن كبار المشايخ قد تبنَّوا أقواله عليه السلام، ولا ندري هل أخذوها من كتبه مباشرة أم بطرق غير مباشرة. وما على تلامذتهم اليوم سوى أخذ العبرة من ذلك، وأن يعودوا إلى المصدر الرباني، وأن يعلموا أن الخير الذي عند مشايخهم مسبوق بما أوحى به الله للمسيح الموعود والإمام المهدي عليهما السلام، وأن عليهم أن يأتوا البيوت من أبوابها.

إن كبار المشايخ قد تبنَّوا أقواله عليه السلام، ولا ندري هل أخذوها من كتبه مباشرة أم بطرق غير مباشرة. وما على تلامذتهم اليوم سوى أخذ العبرة من ذلك، وأن يعودوا إلى المصدر الرباني، وأن يعلموا أن الخير الذي عند مشايخهم مسبوق بما أوحى به الله للمسيح الموعود والإمام المهدي عليهما السلام، وأن عليهم أن يأتوا البيوت من أبوابها.

تميم أبو دقة

في كتابه إزالة الأوهام، قدَّم المسيحُ الموعود والإمامُ المهدي عليه السلام مسألةَ الإيمان به بصورة مميزة واضحة جلية؛ حيث بيّن من خلالها أن الإيمان به له فوائدُ كثيرة، كما أنه لا يتضمَّنُ أيَّ جانبٍ يمكن أنْ يسبب الخسارة.

يقول حضرته:

"من هـم أقرب النـاس إليّ وإلى السـعادة؟ أأولئـك الذين آمنوا بي مسـيحا موعودا أم المنكرين؟

من الواضح الجلي أن الذين آمنوا بي مسيحا موعودا هم معصومون مصونون من الخطر، ويستحقون أنواع الأجور والثواب والقوة الإيمانية، لأنهم:

أولا: أحسَنوا الظن بأخيهم ولم يعُدّوه مفتريا أو كذابا، ولم يدَعوا الشكوك الفاسدة بشأنه تتسرّب إلى قلوبهم، لذا فقد استحقوا ثوابا يناله المرء نتيجة حسن الظن بأخيه.

ثانيا: ما خافوا لومة لائم في سبيل قبول الحق، ولم تتغلب عليهم الأهواء النفسـانية، فاستحقوا الأجر لأنهـم اطلعوا على الدعـوة إلى الحـق، وقبلوها بعـد أن سمعـوا نداء مناد، وما حال في سبيلهم حائـل.

ثالثا: بسبب إيمانهم بمصداق النبوءة نجوا من جميع الوساوس التي من شأنها أن تنتاب القلوب يوما من الأيام نتيجة الانتظار الطويل، أو تحرم صاحبها من الإيمان نتيجة اليأس. فلم يتخلص هؤلاء السعداء من هذه الأخطار فحسب، بل رأوا آية الله وشهدوا تحقُّق نبوءة نبيه ﷺ في حياتهم، فتقدموا في الإيمان كثيرا، وغلبت صبغةُ المعرفة إيمانَهم السماعي، وتخلصوا من جميع أنواع الحيرة التي تنشأ في القلوب عادة عن نبوءات لا تـكاد تتحـقق.

رابعا: لقد آمنوا بمرسَل من الله واجتنبوا السخط والغضب الذي

ينـــزل على المنكرين الذين ليس في نصيبهم إلا التكذيب والإنكار.

خامسا: استحقوا فيوضا وبركات تُنـــزّل على الذين يؤمنون بالذي يأتي من الله ﷻ، محسنين به الظن. تلك هي الفوائد التي سينالها بإذن الله الكريم السعداء الذين آمنوا بي. أما الذين لا يقبلونني فهم محرومون من تلك السعادة بكل أنواعها. وباطلٌ ظنهم أن في القبول خطرُ الخسارة. لا أستطيع أن أفهم لأي سبب يمكن أن يواجهوا خسارة دينية. كانت الخسارة ممكنة لو أكرهتُهم على العمل بتعليم جديد ومناف للإسلام. فمثلا لو حرّمتُ حلالا أو حلّلت حراما، أو غيّرتُ شيئا في المعتقدات الإيمانية التي هي ضرورية للنجاة، أو أضفتُ أو أنقصت شيئا من الصيام والصلاة والحج والزكاة وغيرها من التكاليف الشرعية. أو إذا زدتُ شيئا في الصلوات وجعلتها عشرة بدل الخمسة، أو نقصتُها إلى صلاتين فقط، أو فرضتُ الصيام لشهرين بدلا من شهر واحد أو وجّهت إلى صيام أقل من شهر؛ فلو فعلت شيئا من هذا القبيل لكانت هناك خسارة، بل الكفر والخسران

الحقيقة هي أنَّ روحَ الإقبال بإحسان الظن وبعقل منفتح لا يُمكن أن تؤدي إلى ذلك. إنَّ إحسانَ الظنِّ حتى بالكاذبين يجعلنا نفهمُ حججهم بصورة أوضح، ويجعل رفضنا لهم مبنيا على اليقين لا على الظنِّ.

فعلا. ولكن ما دمت أقول مرارا وتكرارا: يا أيها الإخوة، ما جئت بدين جديد أو تعليم جديد، بل أنا منكم ومسلم مثلكم، وليس لنا كتاب يمكن أن نعمل به أو نوجّه إليه الآخرين غير القرآن الكريم. وليس لنا – أو نطلب ذلك من غيرنا– هادٍ أو مقتدًى نقتدي به سوى سيدنا خاتَم المرسلين أحمد العربي ﷺ، فأي خطر إذن يشكّل ادّعائي – المبنيِّ على إلهام من الله– على مسلم ملتزم؟" (إزالة الأوهام) وهكذا قد اختصر حضرتُه الأمرَ، وبدَّد الأوهامَ والوساوسَ التي قد تجعل الإنسانَ في حيرةٍ من أمره، أو تجعله يخاف أن يقعَ في الكفر أو المعصية. إنَّ محورَ الأمر هو أنَّ حضرتَه هو ذلك الإمامُ المهدي والمسيحُ الموعود الذي أنبأ به النبيُّ ﷺ. وبما أنه قد جاء خادما مخلصا ومتبعا كاملا لسيده ﷺ، لا يزيد حرفا ولا يُنقِصُ في دينه، ولا يحيدُ عن سنة سيده ﷺ قيد شعره، فبذلك يكون قد جاء بصورة لا ينبغي أنْ تجلبَ أيَّ نوعٍ من القلق أو الريب أو الحيرة. فبعثته عليه السلام بهذه الصورة جاءت مصداقا لنبوءات ذلك النبي الكريم ﷺ، كما أنها حافظت على ختم نبوته ﷺ الذي يمنع أن يُبعث نبي بعده ﷺ من غير هذه الأمة، سواءً كان قديما أو حديثا.

كذلك لا يتطلَّب الإيمانُ بحضرته كفرا أو إنكارا لشيءٍ مما جاء به سيدُه ومطاعه ﷺ. فما الداعي للخوف من الوقوع في الكفر والحال هذه؟!

لذلك فإنَّ الروحَ التي ينبغي أنْ يتحلى بها كلُّ مطّلعٍ على دعوة حضرته هي

روحُ الإقبال والبُشرى والرغبة بل والتمني بأن يكون حضرتُه صادقا لا كاذبا. لأن الذي يرى حال الإسلام والمسلمين ينبغي أن يتحرّق ويلتاع لهذا الحال، ويفكّر في الفرج الإلهي والخلاص، ويدعو الله تعالى له، ويدعو أن يوفقه الله تعالى لأنْ يشهدَ ذلك في حياته، وأن يوفقه للإيمان والجهاد بالنفسِ والمالِ في هذه المسيرةِ المباركة؛ ليُكتب عند الله من الفائزين.

وقد يظنُّ البعض أنَّ هذه الروح وتلك الحال هي نوع من السذاجة التي تجعل الإنسانَ يقعُ فريسة للكاذبين المفترين. ولكن الحقيقة هي أنَّ روحَ الإقبال بإحسان الظن وبعقل منفتح لا يُمكن أن تؤدي إلى ذلك. إنَّ إحسانَ الظنِّ حتى بالكاذبين يجعلنا نفهمُ حججهم بصورة أوضح، ويجعل رفضنا لهم مبنيا على اليقين لا على الظنِّ، ويجعل ردَّنا عليهم وتفنيدنا لحججهم على درجة كبيرة من الدقة، بينما الانغلاقُ والإعراض والردود المبنية على عدمِ إحاطةٍ بدعواهم تطيلُ من عمر افترائهم.

ثمَّ إنَّ الله تعالى قد تكفَّل بنفسه بأن يُهلك المدعي الكاذب ودعوته، وأنه لن يُفلح، وذلك في العديد من المواضع من القرآن الكريم. فالريب والحيرة والانغلاق أمام أي مدعٍ هو في حقيقته إساءةُ ظنٍّ بالله تعالى، منبعها نقصٌ في الإيمان.

وعلى كل حال، وعلى فرض أنَّ حضرته عليه السلام ليس صادقا – والعياذ بالله، وعلى فرض أن المؤمنَ قد صدَّقه بحسنِ الظنِّ، فكيف يمكن أن يُعتبر كافرا عند الله وهو لم يؤمن إلا تلبيةً لنداءٍ ظنَّ أنه نداءُ الصدقِ والحق؟! إن شخصا كهذا لا يستحقُّ إلا المثوبة عند الله جزاءَ أنه سعى بصدق القلبِ واهتدى أن يصدق مبعوثا ظنّ أنه من عند الله. علما أنَّ هذه الفرضيةَ مستحيلةٌ عمليا؛ لأن الله تعالى هو الهادي إلى الصراط المستقيم، ولا يمكن أن يترك المؤمنَ الصادقَ ينزلق في تصديقِ كاذبٍ واتِّباعه. فلا ينزلقُ مع الكاذبين إلا أمثالهم، ولا ينجذبُ نحو الصادقين إلا المؤمنون حقا.

إنَّ بعثةَ الإمامِ المهدي والمسيح الموعود عليه السلام هي رحمةٌ للبشرية عامةً وللمسلمين خاصةً. فالعجب أن يقف المسلمُ مرتابا قلقا أمامها! وهي ليس فيها إلا كلُّ الخير والبركة والفائدة، ولا خسران فيها أبدا – كما أوضح حضرته.

نسأل الله تعالى أنَّ يوفقَ القلوبَ الطاهرةَ للإيمانِ بهذا المبعوث كي ينالوا هذه الفوائد العظيمة، وأن يصلحَ حال أمة سيدنا محمد بصلى الله عليه وسلم فضله ورحمته، آمين.

لأن الله تعالى هو الهادي إلى الصراط المستقيم، ولا يمكن أن يترك المؤمنَ الصادقَ ينزلقُ في تصديقِ كاذبٍ واتِّباعه. فلا ينزلقُ مع الكاذبين إلا أمثالهم، ولا ينجذبُ نحو الصادقين إلا المؤمنون حقا.

حِكم ونوادرُ

* إذا خرجت الكلمة من القلب دخلت في القلب، وإذا خرجت من اللسان لا تتجاوز الآذان.

* عامِل الناسَ كما تحب أن تُعامَل.

* من وعظ أخاه سرًّا فقد نصحه. ومن وعظه جهرا فقد فضحه.

* من أُعجب برأيه ضلَّ، ومن استغنى بعقله ضلَّ، ومن جالس العلماء وقر، ومن جالس الأراذل حقر.

* من جار على صباه.. جارَتْ عليه شيخوخته.

* أربعة أشياء قليلها كثير: العلّة، الفقر، العداوة والنار.

* إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وتقاعدت الأعضاء عن العبادة.

* خذ من الأمس النصيحةَ، ومن اليوم العمل، ومن الغد الأمل.

* لا تتحدث بما لا تعلم، ولا تجادل إن علمت.

* أنفع الذخائر التقوى، وأضرُّها العدوان.

* أحسن الاحتجاج ما أشرقتْ معانيه، وأُحكِمت مبانيه، وابتهجت له قلوبُ سامعيه.

* يقول الصوفية عن طريق الوصال بالله تعالى: الطريق لمن صدق لا لمن سبق.

* أراد رجل أن يطلق زوجته، فقيل له: ما يسوؤك منها؟ قال: العاقل لا يهتك سرَّ زوجته.
فلما طلقها قيل له: لِـمَ طلّقتَها؟ قال: مالي والكلام عن أجنبية.

ولكم في إسلام المغول عبرة..!

الدكتور أيمن فضل عودة

حينما تنهال الاتهامات من كل حدب وصوب ضد الدين الإسلامي الحنيف أنه دين إرهابي انتشر بالقوة والإكراه، لا يسعنا إلا الرجوع وقراءة التاريخ قراءة فاحصة؛ لنذكّر هؤلاء الناقمين على ديننا الحنيف بما نسَوه أو تناسَوه من تاريخ هذا الدين المجيد، ولنقوّم ما شُوّه عمدا أو بغير قصد من هذا التاريخ؛ كما لا بد من ذكر ما هو معروف للجميع، وتبيان حقيقته إذا ما فُهمت بشكل خاطيء، لكي لا يصبح المعروف مجهولا على مر السنين، انطلاقا من قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾؛ ثم لا بد كذلك من ترويج ما لم يرُج ذكره من قبل، ليصبح المجهول معروفا ورائجا بين الجميع، عسى أن ينتفع به المسلمون وأعداء الإسلام على حد سواء؛ وهذا الهدف الأخير، هو ذات ما نبغيه من هذا المقال المتواضع.

ونحن إذ ننبري بكل طريقة ووسيلة إعلامية للذود عن حياض ديننا الإسلامي الحنيف، ونعلن للقاصي والداني أن الإسلام قد انتشر بقوته الروحانية وليس بقوة السيف، ونسوق لذلك شتى الأمثلة والبراهين من التاريخ الإسلامي وسيرة سيدنا محمد المصطفى ﷺ وخلفائه الراشدين (رضي الله عنهم)؛ لنبين أن الحروب الإسلامية، والجهاد الإسلامي ما كان إلا دفاعيا من أجل حفظ الحريات الأساسية لأفراد المجتمع، وما كان أبدا من أجل نشر الدين وإكراه الآخرين على قبول الإسلام — قلّما نخوض في حدث هو في غاية الأهمية، من شأنه أن يخدم هذا الهدف الجليل الذي نسعى من أجله، وأقصد بهذا الحدث، إسلام القبائل المغولية أو التتارية، التي عاثت في بلاد المسلمين فسادا ودمارا، شهد التاريخ على وحشيته بما لا يحتاج إلى المزيد من الوصف.

وللحديث عن هذا الموضوع لا بد من تقديم وجيز عن هذه القبائل،

لنوضح أن لفظ "المغول" أو "التتار" هي ألفاظ عامة أطلقها العرب على قبائل جنكيز خان وأحفاده، وهي عبارة عن خليط من القبائل المغولية والتترية والتركية (تتر التغزغز، المعروفين ببدو الأتراك)، التي سكنت هضبة منغوليا شمالي صحراء جوبي، والمناطق الشمالية من آسيا المعروفة بسيبيريا المغولية؛ وهنالك من المؤرخين من يصنف المغول بأنهم صنف من الأتراك. وقد كانت الديانة الشامانية هي الديانة السائدة بينها رغم اعتناق بعض القبائل الديانة البوذية والمسيحية وكذلك الإسلامية، كما سنبينه لاحقا. وعند ظهور جنكيز خان قام هذا بالسيطرة على هذه القبائل وإخضاعها لحكمه حتى سيطر على إمبراطورية مترامية الأطراف، وأمّر عليها أولاده الأربعة (كوجي، أوكتاي،جكتاي وتولي)، حيث اقتطع لكل واحد منهم جزءا منها. وكما هو معلوم فقد غزا جنكيز خان الدولة الخوارزمية المسلمة، وقضى عليها ودمر مدنها العريقة مثل بخارى وخوارزم؛ ليشكل هذا الغزو بوابة للانقضاض على الدولة العباسية، حيث غزا التتار بعدها البلاد الإسلامية ودمروا بغداد سنة ٦٥٦ هجرية بقيادة قائدهم العسكري المجرم هولاكو، وكان ذلك في عهد منكو بن جنكيز خان، واستمر هؤلاء باحتلال البلاد الإسلامية إلى أن أوقف المماليك زحفهم بانتصارهم عليهم في معركة عين جالوت سنة ٦٥٨ هجرية.

ما يهمنا من وراء هذا التاريخ المظلم،كيف ومتى بدأ تحول هذه القبائل الغازيَة من هذا العداء الوحشي، إلى أمة مسلمة تسيطر على أكبر إمبراطورية عرفها التاريخ من حيث المساحة،

ما يهمنا من وراء هذا التاريخ المظلم،كيف ومتى بدأ تحول هذه القبائل الغازيَة من هذا العداء الوحشي، إلى أمة مسلمة تسيطر على أكبر إمبراطورية عرفها التاريخ من حيث المساحة، والتي امتدت من الصين شرقا حتى بولندا والمجر غربا، ومن سيبيريا شمالا حتى الهند جنوبا، وتركت وراءها أثرا وبصمة وحضارة إسلامية عريقة؟ فهل يا ترى، دارت عليهم الدائرة من جديد ليُعمِل المسلمون في رقابهم السيوف كي يعتنقوا الديانة الإسلامية عنوة، كما يروج له الحاقدون على الإسلام على وجه العموم؟

إن دراسة تاريخ هذه القبائل يؤكد أن الإسلام بدأ بالتغلغل بينها، لا سيما بين قبائل تتر التغزغز ذات الأصول التركية، منذ القرن الرابع

فهل يا ترى، دارت عليهم الدائرة من جديد ليُعمِل المسلمون في رقابهم السيوف كي يعتنقوا الديانة الإسلامية عنوة، كما يروج له الحاقدون على الإسلام على وجه العموم؟

الهجري حيث أسلم ملكهم "ستوق بقراخان"، بفضل حركة دعوية لأحد مشائخ الصوفية المعروف بأحمد اليسوي، المولود في مدينة يسيّ في ما يعرف اليوم بجمهورية قازقستان؛ ثم نشر هؤلاء الإسلام بين القبائل القرغيزية المجاورة لها، وقد خضعت هذه القبائل كلها فيما بعد لحكم جنكيز خان. ورغم أن إسلام هذه القبائل لم يكن له أثر كبير على باقي القبائل المغولية، إلا أننا نرى أن بداية اعتناقهم للإسلام وتعرّفهم على هذا الدين الحنيف، لم يكن إلا وليد عملية تبليغية سلمية لم يُرفع فيها سيف و لم يُرق بها دم، بل يعتنق أحد ملوك هذه القبائل الإسلام وهو متربع على سدة حكمه؛ فيا حبذا لو يدلنا المغرضون على من يُكره ملكا كهذا على اعتناق دينه!

وتمضي السنون وتتوالى الأحداث، ليظهر جنكيز خان من بين القبائل المغولية، وليسيطر عليها ويوحدها تحت حكمه، ويقوم بالانقضاض على الدولة الخوارزمية الإسلامية والقضاء عليها. وقد اتسمت علاقة المغول وملوكهم بمن يخضعون لحكمهم من المسلمين بالتأرجح بين التعامل الحسن تارة، والكراهية والبغض ثم الاعتداء عليهم تارة أخرى؛ فهذا هو كوجي، الابن البكر لجنكيز خان، يحب المسلمين ويعطف عليهم، ويعترض على دموية أبيه تجاه المسلمين، ليكون أخوه جكتاي على النقيض منه مبغضا للمسلمين. وأما علاقة أبناء البيت المالك، أبناء جنكيز خان وأحفاده مع بعضهم البعض، فكثيرا ما كانت تطغى عليها الصراعات الداخلية على تقلد سدة الحكم.

أما التحول الأساسي في سلالة جنكيز خان بالنسبة لقبول الإسلام واعتناقه، فكان بفضل تقلد بعض الشخصيات الإسلامية مناصب وزارية في الدولة المغولية، وأهم هذه الشخصيات هو "محمود يلواج" وابنه "مسعود بيك"، اللذان قاما بالتقرب من أفراد الأسرة المالكة، لا سيما أبناء الابن البكر لجنكيز خان (كوجي) واستمالتهم للإسلام؛ وبفضل جهودهم التبليغية وحثهم مشائخ الصوفية على نشر الإسلام بين المغول أسلم ابن "كوجي" وهو "بركة خان" (حفيد جنكيز خان)، ليكون أول من أسلم من ملوك التتار من سلالة جنكيز خان. وقصة إسلامه تعود إلى سنة ٦٤٠ هجرية خلال زيارته لبخارى، بعد سقوطها سنة ٦١١ هجرية بقبضة جنكيز خان، حيث التقى بركة خان بالشيخ البخاري سيف الدين الباخرزي وأسلم على يده؛ وبإسلامه ضربت شجرة الإسلام جذورها في بيت جنكيز خان، لتعطي أكلها في المستقبل بتقبل قطاعات واسعة من التتار للديانة الإسلامية واعتناقها.

وقد شاءت الأقدار أن يتقلد بركة خان سدة الحكم على الممالك التابعة لأبناء كوجي، وبتقلده زمام الحكم

وبعد موت أرغون خلفه ابنه غازان، الذي أسلم وأسلم معه أخوه أليجاتو؛ وبإسلامهم اندحرت البوذية والشامانية والنصرانية من مملكة فارس وساد بها الإسلام بفضل الدعاة الصوفيين.

في بيت كوجي، أقام دولة مستقلة عن دولة المغول، وعنف ابن اخيه هولاكو على الدمار الذي أوقعه في ديار المسلمين وقتله للخليفة العباسي، ودارت رحى الحرب بين بركة خان وابن عمه هولاكو، انتصر في بدايتها بركة خان ثم تراجعت هذه الانتصارات فيما بعد، ولم تسفر المعارك المتأخرة عن نتائج ملموسة .

وبموت منكو (الأخ الأكبر لهولاكو) توطدت مكانة بركة خان بن كوجي بن جنكيز خان في البيت المغولي، وبدأ انحسار النفوذ المسيحي فيه وصعود النفوذ الإسلامي، إذ انضم إلى الإسلام في عهده عدد من إخوته وقواد جيشه بالإضافة إلى زوجته، إلا أن الإسلام لم ينتشر في مملكته إلا بعد موته بنصف قرن تقريبا.

وهو منذ إسلامه وحتى وفاته، كان يداوم على إقامة الصلاة جماعةً، وله مؤذن وإمام خاص.

أما الفرع الأكثر عدائية للمسلمين من بيت جنكيز خان، والمتمثل بمنكو وأخيه هولاكو أبناء تولي بن جنكيز خان، فرغم ما أظهره هؤلاء من عداء ووحشية تجاه المسلمين، إلا أن قدر السماء شاء أن يخرج من أصلابهم من يعتنق الإسلام ويقاتل من أجله ويستشهد في سبيله. فبعد موت هولاكو العدو الأكبر للمسلمين اعتلى العرش مكانه ابنه أحمد تكودر، الذي أسلم عقب تسلمه العرش، وكان إسلامه مثار حفيظة ابن أخيه (أباقا) واسمه أرغون وكان يدين بالديانة البوذية، فقام الأخير بمحاربة عمه تكودر وقتله بسبب إسلامه. وبعد موت أرغون خلفه ابنه غازان، الذي أسلم وأسلم معه أخوه أليجاتو؛ وبإسلامهم اندحرت البوذية والشامانية والنصرانية من مملكة فارس وساد بها الإسلام بفضل الدعاة الصوفيين.

وملخص القول من كل ما تقدم، أن قصة إسلام المغول قصة فريدة من نوعها في تاريخ البشرية، بحيث لا يمكن أن يقال رغم العداء البدائي بينهم وبين المسلمين، بأنهم قد اعتنقوا الإسلام كرها وقسرا، فقد رأينا مما تقدم ذكره ما يلي:

- أن جزءًا يسيرا منهم قد تعرف على الإسلام واعتنقه حتى قبل غزوهم البلاد الإسلامية.
- أن اعتناق بعض أفراد البيت المالك للإسلام كان بفضل جهود دعوية للوزراء المسلمين الذين تقلدوا مناصب مرموقة في إدارة شؤون الدولة.
- أن تقبل قطاعات واسعة منهم للديانة الإسلامية، قد حدث في الوقت الذي كان به المغول يمسكون

رغم المعارك التي دارت بين التتار والمسلمين، ورغم انتصار المسلمين عليهم في معركة عين جالوت، لم يكن إسلامهم نتيجة لهذه المعارك وانتصار المسلمين عليهم، إذ لم يكن قتال المسلمين لهم من أجل إرغامهم على الإسلام، وإنما من أجل الدفاع عن أنفسهم ورد الغزو -الذي بدأه التتار بأنفسهم- وما تبعه من قتل ودمار.

بزمام الأمور، وملوكهم تتربع على عروشها، فقد اعتنق بعض ملوكهم الإسلام عقب اعتلائهم العرش، بحيث لا يمكن لأي شخص أن يدعي بأن هؤلاء الملوك ورعاياهم قد أُجبروا على اعتناق الإسلام.

- لم يكد يمضي نصف قرن منذ الغزو المغولي للبلاد الإسلامية، حتى اعتنق أغلب المغول الديانة الإسلامية، وما كان هذا إلا وليد حركة تبليغية دعوية من قبل مشائخ الصوفية، ساعد على نجاحها إسلام بعض الملوك منهم، واعتنائهم بإنشاء المدارس والمساجد.

- رغم المعارك التي دارت بين التتار والمسلمين، ورغم انتصار المسلمين عليهم في معركة عين جالوت، لم يكن إسلامهم نتيجة لهذه المعارك وانتصار المسلمين عليهم، إذ لم يكن قتال المسلمين لهم من أجل إرغامهم على الإسلام، وإنما من أجل الدفاع عن أنفسهم ورد الغزو -الذي بدأه التتار بأنفسهم- وما تبعه من قتل ودمار. نعم، لقد أوقفت معركة عين جالوت المد المغولي في البلاد الإسلامية، -حيث هدد هؤلاء دولة المماليك في مصر، بإرسال هولاكو رسالة إلى السلطان قطز يهدده ويتوعده فيها أن يستسلم ويقدم له فروض الطاعة-، غير أن التتار بعد هذه المعركة بقوا مسيطرين على مساحات واسعة من البلاد الإسلامية التي احتلوها في الشرق كبلاد فارس، وقد انتشر الإسلام بينهم وهم لا يزالون مسيطرين على هذه البلاد.

- فَهُم الغزاة -وليس المسلمون- الذين غزوا بلاد المسلمين واستباحوا حرماتها ومقدساتها، وأوقعوا فيها من القتل والخراب والدمار ما تبلغ منه القلوب الحناجر، وتقشعر منه الأبدان؛ وكانوا ذوي منعة وقوة بحيث لم يقدر المسلمون على مقاومتهم، بادئ الأمر؛ وبينما كان هؤلاء في غَمرة غزوهم هذا، بدأ الإسلام يتغلغل رويدا رويدا في صفوف أبنائهم بقوته الروحانية، ليبدل الله شأنهم من ألد أعداء للإسلام إلى مجاهدين في سبيله، وليَظهر فيهم الكثير من الملوك والشيوخ والعلماء الأتقياء المدافعين عن هذا الدين الحنيف، أمثال السلطان "طرمشرين"، والذي عُرف بصلاحه وعدله، رغم كون أبيه "جكتاي بن جنكيز خان" من ألد أعداء الإسلام.

فبعد أن سقنا في مواضع أخرى شتى الأمثلة والبراهين من التاريخ الإسلامي، لنثبت أن انتشار الإسلام لم يكن بالقهر والإجبار، نقول لمعارضينا في هذه المسألة، مسلمين كانوا أو حاقدين على الإسلام:

"ولكم في إسلام المغول عبرة..!"

فهل من معتبر؟

وبينما كان هؤلاء في غَمرة غزوهم هذا، بدأ الإسلام يتغلغل رويدا رويدا في صفوف أبنائهم بقوته الروحانية، ليبدل الله شأنهم من ألد أعداء للإسلام إلى مجاهدين في سبيله، وليَظهر فيهم الكثير من الملوك والشيوخ والعلماء الأتقياء المدافعين عن هذا الدين الحنيف.

المصادر:

"كيف أسلم المغول؟ دور التركستان في إسلام المغول" ، د. محمد علي البار

"المغول في التاريخ" ، د. فؤاد عبد المعطي الصياد